نسائم الإيمان

تأليف
د. عقيل بن عبد الرحمن بن محمد العقيل

نسائم الإيمان

تأليف
د. عقيل بن عبد الرحمن بن محمد العقيل

ح عقيل بن عبد الرحمن العقيل ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العقيل، عقيل بن عبد الرحمن
نسائم الإيمان/ عقيل بن عبد الرحمن العقيل. الرياض، ١٤٢٥هـ
١٢٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣-٢٤٦-٤٦-٩٩٦٠
١- الإسلام - مجموعات أ.العنوان
ديوي ٢١٠,٨ ١٤٢٥/٤١٤٩

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٤١٤٩
ردمك: ٣-٢٤٦-٤٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

إهداء
أهدي هذا الإصدار لسعادة
أخي الشيخ جار الله العصيمي
سائلاً الله أن ينال رضاه
شاكراً سلفاً قبول هذا الإهداء
المؤلف
عقيل

نسائم الإيمان

تأليف

د. عقيل بن عبد الرحمن بن محمد العقيل

ح عقيل بن عبد الرحمن العقيل ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العقيل، عقيل بن عبد الرحمن

نسائم الإيمان/ عقيل بن عبد الرحمن العقيل. الرياض، ١٤٢٥هـ

١٢٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣-٦-٢٤٦-٤٦-٩٩٦٠

١- الإسلام - مجموعات أ. العنوان

ديوي ٢١٠,٨ ١٤٢٥/٤١٤٩

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٤١٤٩

ردمك: ٣-٦-٢٤٦-٤٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسـول الله وعلـى آلـه وصـحبه ومـن والاه وبعد.

فهذا كتاب أسميته نسائم الإيمان وقد حوى موضوعات عـدة شملـت بعـض العبادات وبعض الرقائق، كما حاولـت أن أشـارك فيـه برأيـي المتواضـع في بعـض الأمور المتعلقة بالبر والصلة والأسرة والحياة الزوجية إلى جانب بعـض التوجيهـات التي تهم المسلم في حياته العامة والخاصة مع التنبيه على بعض الأمور التي ينبغـي أن يحذر منها المسلم سواء منها ما يتصل بالعبادات أو بالحياة الأسرية أو مـا لـه ارتبـاط بعلاقته بوالديه وأولاده وأرحامه وجيرانـه، سـائلاً المـولى القـدير أن يكـون خالصـاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه والمسلمين أجمعين أنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المؤلـــف

نفحات العبادات

شروط قبول العبادة

من المعلوم لكل مسلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا همـلاً بـل خلقنا لهدف نبيل وهو عبادته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريـد أن يطعمـون، إن الله هـو الـرزاق ذو القوة المتين**﴾(١) فنحن – إذن مخلوقون لعبادته وحده لا شريك لـه هـذا هـو الهـدف الأسمى من وجودنا على هذه الحياة، ولكي يتحقق هذا الهدف على أفضـل صـورة أرسل الله ألينا رسلاً وأنزل عليهم كتبـاً ليبينـوا للنـاس مـا نـزل علـيهم مـن ربهـم فيعرفون العباد بربهم ويبينون لهم ما يجب علـيهم تجـاه خـالقهم ومـولاهم سـبحانه وتعالى – وكيفية تأدية هذا الواجب ويوضحوا لهم النتائج الحميدة لأداء هذه العبـادة على أكمل وجه ويحذروهم من العواقب الوخيمة لترك هذه العبادة أو الإخلال بهـا فمدار سعادة المرء في هذه الحياة وما بعدها علـى اسـتقامة هـذه العبـادة وصـلاحها وشقاؤه في الدارين يكون رهين ذلك.

لهذا وجب أن تعرف أخي – وفقني الله وإياك – لما يحب ويرضـى أنـه يشـترط لقبول العبادة: أن تكون صحيحة ولا تكون صحيحة إلا إذا توفر فيها شرطين:-

الأول: أن تكون خالصة لله تعالى سالمة من الشرك الأكبر والأصغر.

الشرط الثاني: أن تكون صواباً على سنة رسول الله ﷺ.

فالشرط الأول هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله لأن معناها إخلاص العبادة

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ ـ ٥٨

لله تعالى وسلامتها من الشرك الأكبر والأصغر.

وأما الشرط الثاني فهو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله إذ أن معناها طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. يشهد لهذا قول الحق جل جلاله **﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[(١)].

فـ(أسلم وجهه) أخلص عبادته لله (وهو محسن) أي متبع للرسول ﷺ قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى «وجماع الدين أصلان: ألا تعبد إلا الله ولا تعبده إلا بما شرع لا تعبده بالبدع كما قال تعالى **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[(٢)].

وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ففي الأولى أن لا تعبد إلا إياه وفي الثانية أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بين ﷺ لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور... انتهى كلامه رحمه الله تعالى[(٣)].

وبنظرة سريعة في واقع الناس اليوم ندرك أن كثيراً من الناس هداهم الله – قد أخفق في تحقيق هذين الشرطين أو أحدهما فمن الأمور المخالفة للشرط الأول أنك ترى فئة ما من الناس يتقربون للأولياء والصالحين إلى الأولياء أنفسهم إن كانوا

---

(١) سورة البقرة ، آية: ١١٢.

(٢) سورة الكهف، آية١١٠:

(٣) العبودية ـ ص١٠٣.

أحياء وإلى قبورهم إن كانوا أمواتاً بدعائهم والاستغاثة بهم ورجائهم والتمسح والتبرك بهم وهذا أمر محرم لأن فيه صرف لشيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فعلى المسلم أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى – في كافة أحواله في السراء والضراء فهو النافع الضار وما سواه مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة ثم أن هذا المدعو من الناس إن كان يعلم ذلك ويقبله فهو شيطان يجب عداوته وتحرم موالاته ومحبته.

ومن هذه الأخطاء التي تقدح في العقيدة ما يحصل من البعض من زيارة السحرة والكهنة والعرافين والدجالين والمنجمين الذين يدّعون معرفة المغيبات وقراء الكف ونحو ذلك باستخدام الشياطين فهذا أمر منكر إذ لا أحد يعرف علم الغيب سوى الله سبحانه وتعالى.

ومما يذهب عمل المسلم ويحبطه"الرياء" وهو أن لا يقصد بعمله وجه الله تعالى بل يريد مراءات الناس فيقول فعلت كذا وقلت كذا ليمدحه هذا ويمجده ذلك وهذا ما يعرف لدى علماء العقيدة بالشرك الخفي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمة الليل وهو مبطل للعمل لأن الله سبحانه وتعالى أغنى الشركين عن الشرك،فمن عمل عملاً أشرك معه غيره تركه وشركه.

وكما ينبغي إخلاص العبادة لله وتنقيتها من الشرك والكفر كذلك ينبغي أن نكون على وفق ما شرع المصطفى ﷺ إذ هو المبلغ عنه سبحانه وتعالى فلا نزيد فيه ولا ننقص بل نتبع ولا نبتدع يقول الإمام علي رضي الله عنه:"لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه فينبغي أن نعبده سبحانه ونتقرب إليه بما شرع لا بما تمليه علينا شهواتنا وأنفسنا ولا بما يوحيه ألينا أئمة الضلال الذين لا

يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه بل علينا أن نعـود إلى المعـين الصافي كتاب الله وسنة رسوله فنأخذ منها الأحكام ونتلقى عنهما التشريع لا شـرقية ولا غربية وعلينا أن ننهج هدي السلف الصالح مـن الصـحابة والتـابعين وتـابعيهم والأئمة الموثقين كالأئمة الأربعة والإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسـلام المجدد محمد بن عبد الوهاب، كما ينبغي الحذر من أولئك الأئمة المضـلين الـذين هـم دعاة على أبواب جهنم من اتبعهم ألقوه فيها يزينون العبارات وينمقونها وفيها السم الزعاف أولئك شرار الخلق عند الله.

* * *

فضائل الوضوء

إن ديننا الإسلامي الحنيف دين شمولي متضمن لجميع أمور الحياة ومتطلباتها فما من خير إلا دل الأمة وأرشدها إليه ولا شر إلا حذرها منه.دين يربي أبناءه على الطهر والعفاف وعلى النزاهة والنظافة وحسن الخلق وطيب المعاملة مع الآخرين فهو دين يسمو بأهله في الدنيا والآخرة ويجعلهم في مقدمة الركب بما تعلموا من آدابه وتوجيهاته التي امتازوا بها عن غيرهم.ألا وإن من أرقى هذه الآداب ما يتصل بالطهارة والنظافة من الغسل والوضوء والسواك ونحو ذلك، والحديث عن مظاهر النظافة في الإسلام حديث يطول ولكن سأقصر على جانب يسير مما يتصل بالوضوء على وجه الخصوص ببيان طرف من فضائله. وقبل ذلك يحسن بنا بيان معنى الوضوء وصفته.

الوضوء في اللغة مأخوذ من الوضاءة وهي النظافة وشرعاً: «استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة».

وأما صفة الوضوء الكامل المشتمل على الواجب والمسنون فهي أن ينوي المتوضئ بفعله هذا إرادة الوضوء ثم يسمي ثم يغسل كفيه ثلاث مرات ثم يتمضمض ويستنشق ويغسل وجهه من منابت شعر الرأس إلى الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ثلاثاً وما فيه من شعر خفيف والظاهر الكثيف مع ما أسترسل منه ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاثاً ثم يمسح كل رأسه مع الأذنين مرة واحدة ثم يغسل رجليه مع الكعبين ثلاثاً ولابد من الترتيب بين أعضاء الوضوء كما سبق بيانه فالوجه أولاً ثم اليدين ثم مسح الرأس ثم القدمين لأن الله جل شأنه ذكر

الوضوء مرتباً قال تعالى﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين...**﴾ الآية، فلابد من مراعاة هذا الترتيب الذي تضمنته هذه الآية الكريمة.ولابد أيضاً من الموالاة وهي ألا يؤخر غسل عضو حتى ينشف الذي قبله.

وبعد أن عرفت صفة الوضوء الكامل وضوابطه التي ينبغي التقيد بها بقي أن نقف بك على جانب من فضائل الوضوء وثماره اليانعة فنقول أن للوضوء فضائل كثيرة وعوائد على المؤمن جمة لا يتسع المقام لذكرها جميعاً ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

فأول هذه الفضائل: أن الوضوء مظهر من مظاهر النظافة والنقاء الذي تميزت به شريعتنا عن غيرها فالتطهر شطر هذا الدين فهو دين يعنى بالنظافة لأنه يدرك فوائدها ويعلم الآثار السيئة التي تترتب على تركها أو التقصير فيها فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال «**قال رسول الله ﷺ الطهور شطر الإيمان**» رواه مسلم.

وثاني هذه الفضائل: إن الوضوء سبب لمغفرة الذنوب وزوال الخطايا فعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: «**من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة**» رواه مسلم، وبنحو هذا روى الإمام مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**».

ثالثا: وحيث أن مواضع الوضوء سواء الوجه وما فيه من العينين واللسان وكذلك اليدان وكذا الرأس والأذنان وأخيراً الرجلين هذه المواضع مظنة صدور

الخطأ منها وحصول الإثم عن طريقها بنظرة عين أو نطق لسان أو بطش يد أو سماع أذن أو مشي رجل إلى معصية لذا فقد أوضح ﷺ سلامة هذه الأعضاء من الذنوب وخروج الخطايا منها بعد أن يتوضأ المرء ويمر بالماء على هذه الأعضاء ففي الوضوء طهارة لها من هذه الآثام فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**إذا توضأ العبد المسلم – أو المؤمن – فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان قد بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب**» رواه مسلم.

ورابع هذه الفضائل: إن طموح المؤمن كبير فهو يأمل من الله محو الخطايا ويرجو كذلك منه رفع الدرجات في الجنة وهذا ما يتحقق للمؤمن في وضوءه إذا أسبغه أي «أكمله وأتمه على أحسن وجه» فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط. فذلكم الرباط**» رواه مسلم. قوله ﷺ على المكاره: أي كشدة البرد.

أما الخامس: فهو أن المرء إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتبع ذلك بالنطق بالشهادتين فتحت له أبواب الجنة الثمانية فهل هناك فضل أعظم وأكبر من هذا الفضل؟ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ الوضوء – ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن

محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» رواه مسلم وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

وسادس هذه الفضائل: يتمثل في قوله ﷺ «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**» رواه مسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وآخر هذه الفضائل: أن الوضوء يترك أثراً وعلامات على المواضع التي مر عليها من الوجه والأيدي والأقدام تلك العلامات والأمارات التي تميز أمة محمد ﷺ عن غيرها من الأمم يوم القيامة فيعرف عباد الله المؤمنون من أمة محمد ﷺ بآثار الوضوء على وجوههم وأيديهم وأرجلهم وما ينبثق عن ذلك من الغرة والتحجيل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**» متفق عليه فعلى المسلم أن يحرص على أداء الشعيرة كما أرادها الله ورسوله وأن يقوم بها على الوجه الأكمل وأن يحذر من التقصير أو التفريط في ذلك وأن يقوم بذلك كله محتسباً الأجر من الله تعالى فيتوضأ حين يتوضأ وهو واضع في حسبانه أنه يؤدي شعيرة افترضها الله عليه وبينها سبحانه له وطبقها المصطفى ﷺ وأوضح ما أجمل من صفتها وأحكامها وبين ذلك بقوله وفعله وليحذر المرء من أن يتعامل مع هذه العبادة على أنها عادة من العادات فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريءٍ ما نوى.

* * *

السواك فضله وبيان شيء من أحكامه

إن الإسلام دين يربي أبناءه على حب النظافة وينشئهم عليها فتراه يلزم المرء إذا أحدث بالوضوء إذا أراد الصلاة كما يلزم من أصاب جنابة بالاغتسال ويأمره بطهارة بدنه وثيابه ومصلاه قال تعالى: ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد...**﴾ الآية فالطهارة والنظافة من الأمور المطلوبة في الإسلام.

إلا وأن مما عني الإسلام به من أمور النظافة والنزاهة وجعله سنة قائمة إلى قيام الساعة السواك فهو من سنن المرسلين.

والسواك والمسواك أسم للعود الذي يستاك به.ويطلق السواك على الفعل أي دلك الفم بالعود لإزالة نحو تغير كالتسوك.

والسواك سنة حث عليها المصطفى ﷺ وأكد على ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس – لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» متفق عليه. فلولا خشيته ﷺ من إلحاق المشقة بأمته لألزمهم بالسواك عند كل صلاة وما ذاك إلا لأهميته عنده لذلك كثيراً ما حث عليه فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثرت عليكم في السواك**» رواه البخاري ومما يزيد حرص الرسول ﷺ على السواك وحث أمته عليه: إخباره بأن السواك سبب لرضى الله سبحانه وتعالى عن العبد فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**» رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحة بأسانيد صحيحة. كما عد المصطفى ﷺ السواك من الفطرة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله «**عشرة من الفطرة:**

قص الشارب، وإعفاء اللحية والسواك...» الحديث متفق عليه. ولذلك كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يستاك.

والسواك كما أشرت سابقاً من سنن المرسلين لذا فقد ذكر بعض أهل العلم أن أول من استاك نبي الله ورسوله إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقد ذكر أهل العلم صفات للعود الذي يشرع الاستياك به وذلك بأن يكون ليناً منقٍ غير مضر وغير متفتت. ليمكن استعماله والاستفادة منه من غير ضرر يلحق بالذي يستاك به.

وصفة الاستياك: أن يأخذ السواك بيده اليسرى ثم يبدأ بجانب فمه الأيمن فيستاك عرضاً ويمر على أسنانه ولثته ولسانه. فإذا فرغ من الاستياك شرع له قول «اللهم طهر قلبي ومحص ذنوبي» ذكر ذلك بعض أهل العلم.

وإذا استاك الإنسان نوى بذلك إصابة السنة ذكر ذلك بعض العلماء لأن هذا عمل تعبدي والأعمال إنما هي بالنيات.

والسواك مندوب كل وقت لكن يتأكد السواك في أوقات معينة أكثر منه في غيرها نذكر طرفاً منها:

أولاً: عند الوضوء ومحله عند المضمضة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي**» رواه مسلم.

ثانياً: عند الصلاة ولا فرق بين الفريضة والنافلة لحديث أبي هريرة المتقدم إن رسول الله ﷺ قال «**لولا أن أشق على أمتي ـ أو على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**» متفق عليه.

ثالثاً: عند دخول المسجد، وكذلك إذا دخل المرء منزله شرع له أن يبدأه بالسواك لما روى شريح بن هانئ قال: قلت لعائشة رضي الله عنها أي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته. «**قالت بالسواك**» رواه مسلم.

رابعاً: عند قراءة القرآن.

خامساً: وكذا يتأكد السواك عند انتباه المرء من النوم ولا فرق بين نوم الليل والنهار فعن حذيفة رضي الله عنه قال «كان رسول ﷺ **إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك**». متفق عليه والشوص: (هو الدلك).

سادساً: ويتأكد السواك عند تغير رائحة الفم وكذا عند إطالة سكوت وكذلك في حالة خلو المعدة من الطعام وعند اصفرار الأسنان ذكر هذا أهل العلم.

وأعلم أخي إن الإسلام ما شرع السواك إلا لما يترتب عليه من فوائد جمة ومصالح كثيرة دنيوية وأخروية فهو مظهر من مظاهر النظافة التي امتاز بها ديننا الحنيف وبه تطييب لرائحة الفم مما عساه أن يكون قد علق به إلى جانب أنه شعيرة يثاب المرء عليها إذا هو عمل مرضي لله تعالى فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**» رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه بأسانيد صحيحة.

* * *

يوم الجمعة فضله وبيان شيء من أحكامه وآدابه

لقد منّ الله علينا بنعم كثيرة وآلاء جمة فأرسل ألينا خير رسله وأنزل عليه أفضل كتبه ﴿**وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾[1] ومن أبرز هذه النعم وأزكاها أن جعل لنا يوماً هو أفضل أيام الأسبوع وخصه بعبادات تميزه عن سائر الأيام فهو عيد الأسبوع للمسلمين ومجتمعهم. أنه يوم الجمعة يجتمع فيه المسلمون أداءً للشعيرة وأحياء لسنة الحبيب ﷺ ذلك اليوم الذي قد سمت مكانته في قلب كل مؤمن وتاقت نفسه شوقاً إليه وقد وردت عن المصطفى ﷺ أحاديث كثيرة تبين فضله ومكانته وما يؤدى فيه من فرائض ونوافل هي سبب الفلاح في الدنيا والآخرة فمما جاء في فضل ذلك اليوم العظيم ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها**» أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي ولقد هدانا الله لهذا اليوم وأضل عنه غيرنا تكرماً منه وفضلاً فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم وهذا اليوم الذي كتب الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له – يعني يوم الجمعة – فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد**» متفق عليه. ومن فضائل هذا اليوم المبارك أنه سبب لمغفرة صغائر الذنوب فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**الصلوات**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضـان مكفـرات مـا بيـنهن إذا اجتنبـت الكبائر» رواه مسلم. بل قد جاء أخي في الله في رواية أخرى أنه يغفر لمن حضر الجمعة ما بين جمعتين وزيادة ثلاثة أيام فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا»** رواه مسلم فما أعظمها من فضائل وما أكبرها من إنعام.

وأعلم أن صلاة الجمعة واجبة على كل مسلم حر عاقل بالغ مقيم قادر على السعي إليها خالياً من الأعذار المبيحة للتخلف عنها فلقد قال ﷺ **«الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض»** رواه أبو داود[1].

بقي أن نعلم أن لهذه الجمعة آداباً وسنناً ينبغي لكل مسلم التحلي بها إقتداء بنبينا ﷺ وهذه السنن والآداب كثيرة ومنها:

فأول هذه السنن الاغتسال قبل الذهاب إلى صلاة الجمعة فيرى بعض أهل العلم وجوبه لكن الراجح أنه سنة مؤكدة حث عليه المصطفى ﷺ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»** متفق عليه ومما يؤيد الحث على الغسل أيضاً ما رواه أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **«غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»** متفق عليه.

---

(١) صححه الألباني.

قال الأمام النووي – رحمه الله – معلقاً على هذا الحديث: «المراد بالمحتلم البالغ والمراد بالوجوب وجوب اختيار كقول الرجل لصاحبه حقك واجب علي» أ هـ ١٢١

ثانياً: ومن هذه السنن الطيب للجمعة والاستياك لها فعن سلمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**». رواه البخاري كذا روى عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه**»[1].

وثالث هذه الآداب والسنن: التبكير في الذهاب إلى صلاة الجمعة وعدم التأخير حتى يحضر الإمام أو تقام الصلاة ثم إن الناس يتفاوتون في أجر الذهاب إلى الجمعة على قدر التبكير إليها فكلما تقدم المرء في ذهابه إليها كان أجره أعظم وأكمل فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة**

---

(١) رياض الصالحين للنووي ص٢٣٧.

فإذا خرج الأمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» متفق عليه. قوله: غسل الجنابة: أي غسلاً كغسل الجنابة في الصفة.

وأعلم أن الملائكة قاعدون على أبواب المسجد يسطرون بأقلامهم السابق إلى المسجد ومن يليه في الفضل حتى يحضر الإمام لأداء الخطبة فعند أذن يطوون صحفهم ويتفرغون لسماع الخطبة من الإمام فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يسمعون الذكر**» أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم.

ورابع هذه الآداب والسنن: أن يدنو المصلي من الإمام ولا يجلس في أخر المسجد كما يفعل بعض المسلمين – هداهم الله – فعن أوس بن أوس الثقفي عن رسول الله ﷺ قال:«من غسل واغتسل ثم ابتكر وغدا ودنا من الإمام وأنصت ولم يلغ كان له بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها» أخرجه النسائي.

وأما الخامس: من هذه الآداب ألا يجلس إذ دخل المسجد حتى يصلي ركعتين حتى وإن كان دخوله والإمام يخطب فلا ينبغي له الجلوس بل يصليها خفيفتين. لحديث سلمان آنف الذكر كذلك ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: «**بينما الرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ جاءه رجل فقال له النبي ﷺ أصليت قال: لا، قال: قم فأركع**» متفق عليه.

وسادس هذه الآداب: وهو أمر واجب حتمي ينبغي لكل مسلم التنبه له ألا وهو: ضرورة إنصات المستمع أثناء الخطبة ومنع الكلام أو الانشغال عنها بأي شيء كان وإن قل ذلك ولو كان قربة كتلاوة القرآن أو التسبيح أثناء الخطبة فيجب على

المسلم أن يعيها بكل جوارحه إذ أن انشغاله وتركه للإنصات يذهب الفائدة من هذه الخطبة ويلغي دورها ويقضي على الأهداف المشروعة لأجلها لذا حث الرسول ﷺ على الإنصات أثناء الخطبة وأخبر أن ثواب ذلك كفارة ما قبله فعن سلمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يتطهر يوم الجمعة كما أمر الله ثـم يخرج من بيته حتى يأتي الجمعة وينصت حتى تنقضي صلاته إلا كان كفارة لما قبـل ذلك**» أخرجه النسائي بسند صحيح بل أن فضل الإنصات مع مـا سـبقه مـن آداب الجمعة كالغسل والبكور قد يتجاوز ذلك.

سابعاً: ومما ينبغي التحذير منه: ما يفعلـه بعـض الأخـوة – هـداهم الله – مـن تخطي رقاب الناس فأنه يأتي متأخراً وربما أتى والإمـام قـد أنتصـف في الخطبـة ثـم يتخطى رقاب الناس بحثاً عن الصف الأول بل ربمـا أضـطر مجموعـة مـن المصـلين للتزاحم أثناء الخطبة ليفسحوا له مكاناً وهذا أمر محرم قد ثبت النهي عنه على لسـان المصطفى ﷺ وأمره لمتخطي الرقـاب بـالجلوس. ووصـفه بأذيـة النـاس فعـن أبي الزاهرية عن عبد الله بن بسر قال كنت جالساً إلى جانبه يوم الجمعة قال: فجاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب الناس فقال له رسـول الله ﷺ : «**أجلس فقد آذيته**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

ثامناً: وأعلم أن من أدرك ركعة من صلاة الجمعـة فقـد أدرك الجمعـة لمـا روي عن أبي هريرة – يرفعه – قال: «**من أدرك من صلاة الجمعـة ركعـة فقـد أدرك**» أي أدرك الجمعة. رواه النسائي والحاكم وإسناده صحيح.

تاسعاً: وحيث أن يوم الجمعـة مـن أفضـل أيـام المسـلمين إذ اخـتص بـبعض الفضائل لذا حث الرسول ﷺ أمته على الإكثار من الصلاة والسلام عليه فيـه فعـن

أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**إن من فضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فأن صلاتكم معروضة علي...**» الحديث إسناده صحيح ـ أخرجه أبو داود والنسائي وأبن ماجه وغيرهم ـ.

بقي أن تعرف – أخيراً – أخي الكريم أن يوم الجمعة قد اشتمل على ساعة تجاب فيها الدعوة ولا ترد وهذه ميزة اختص بها هذا اليوم على سائر الأيام فحري بالسلم تحري هذه الساعة والدعاء والإنابة إلى الله فيها عسى أن يوافقها لتكتب له السعادة فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه قلنا يقللها يزهدها**» متفق عليه.

* * *

إخراج الزكاة وخطر التهاون بذلك

بعثَ الله مُحمداً ﷺ هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله بإذنـهِ وسـراجاً منيراً فجمع أمتَه على الهدى وأقام بين أفرادِها الأخوةَ الإيمانيـةَ الـتي تَـرْبِطُ بـينَ المسلمين على اختلافِ لغـاتِهم وألـوانهم وبلـدانهم وجَعَلـهَا فـوقَ كـلِ اعتبـار قائمـةً علـى الـبرِ والتقوى.

ألا وإن مِن أبلغِ ما يُميزُ هذه الرابطةِ الإيمانية ويُقَوي التعاونَ والترابطَ ما شرعه الله عز وجل من فريضةِ الزكاةِ تلك الشعيرةُ العظيمة التي تُمثّلُ مظهـراً مِـن مظـاهرِ التكافلِ الاجتماعيِ ولعظمِ فَضْلِها وأهميةِ أمرِها وضـرورةِ إخراجِهـا علـى الوجـهِ المشروعِ فقد قرنها الله سبحانه وتعالى مُع الصلاةِ في كثيرِ من آياتِ القـرآنِ الكـريمِ يقول جل وعلا: ﴿**وأقيموا الصلاةَ وآتـوا الزكـاة**﴾ وقـال تعـالى: ﴿**ومـا أُمِـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدينَ حنفـاءَ ويقيمـوا الصـلاةَ ويؤتـوا الزكـاةَ وذلـك ديـنُ القيمة**﴾ وكونُها تأتي قرينةً للصلاةِ مما يَدُلُ على أهميتها وضرورةِ القيامِ بها.

والزكاةُ أحـدُ أركـانِ الإسلامِ الـتي لا يقومُ الإسلامُ إلا بها فعـن أبـنِ عمـرَ — رضي الله عنهما — أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شـهادةِ أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتـاءِ الزكـاةِ، وحَـجِ البيـتِ، وصوم رمضان**» متفق عليه.

وعندما قَدِمَ رجلُ يسألُ رسولَ اللهِ ﷺ عن الإسلام بين له ﷺ مِن أركانـهِ مـا بين وذكرَ الزكاةَ مما يَدلُ على أهميتِها فعن طلحةَ بنِ عبيـدِ اللهِ — رضـي الله عنـه — قال: جاء رجلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من أهلِ نجدِ ثائرُ الرأسِ نسـمعُ دويُ صـوتهِ ولا

نَفْقَهُ ما يقولُ حتى دنا مِن رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هو يسألُ عن الإسلامِ فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**خمسُ صَلواتٍ في اليومِ والليلةِ**» قال: هل عليّ غيرُهن؟ قال: «**لا، إلا أنْ تَطّوع**» فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**وصيامُ شهرِ رمضانَ**» قال: هل عليّ غيرُهُ؟ قال: «**لا، إلا أنْ تَطْوع**» قال: وذكر له رسولُ اللهِ ﷺ الزكاةَ فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «**لا، إلا أنْ تَطوعَ**» فأدبرَ الرجلُ وهو يقولُ: واللهِ لا أزيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ منه؛ فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**أفلح إنْ صَدَقَ**» متفق عليه.

وحينما بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ معاذاً إلى اليمنِ بينّ له أنّ مِن الأمورِ التي ينبغي أنْ يدعو الناسَ إليها الزكاةُ ويُعْلِمهُمُ أنها تؤخذُ مِن الأغنياءِ فتعطى الفقراءُ. فعن أبنِ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنّ النبيَ ﷺ بعث معاذاً إلى اليمنِ فقال: «**ادعُهم إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعْلِمْهُم أن اللهَ تعالى افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِ يومٍ وليلةٍ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعْلِمْهُم أنّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذُ مِن أغنيائِهم، وتردُ على فقرائِهم**» متفق عليه.

ومما يَدلُ على أهميةِ هذه الشعيرة أن مَنْ أبى إخراجَها فإنـهُ مستَحِقُ أنْ يقاتَلَ حتى يُخْرِجَها. فعن أبنِ عمرِ – رضي الله عنهما – قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «**أمرتُ أنْ أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا اللهَ وأنْ محمداً رسولُ اللهِ، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك، عَصموا مني دماءهَم وأموالهَم إلا بحقِ الإسلامِ، وحسابهمُ على اللهِ**» متفقُ عليه.

وتبعاً لذلك فقد قاتلَ أبو بكرِ الصديقُ – رضي الله عنه – كل مَن أبى دفعَ الزكاةِ. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: لما توفي رسولُ اللهِ ﷺ وكان أبو

بكرٍ ـ رضي الله عنه – وكَفَرَ مَن كَفر مِن العربِ فقـال عمـرُ – رضـي الله عنـه –: كيف تقاتلُ الناسَ وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ «**أمرتُ أنْ أقاتلَ النـاسَ حتـى يقولـوا لا إله إلا اللهُ فمن قالها، فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقهِ، وحسابهُ على اللهِ**»؟! فقال أبو بكرٍ: واللهِ لأُقَاتِلن منَ فرّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حـقُ المـال، واللهِ لـو منعوني عقالاً كانوا يُؤدونه إلى رسولِ اللهِ ﷺ لقاتلهم على منعه. قال عمرُ – رضي الله عنه – : «فو اللهِ ما هو إلا أنْ رأيتُ الله قد شَرَحَ صدر أبي بكرٍ للقتالِ، فعرفـتُ أنهُ الحقُّ» متفق عليه.

ولا تخفى عليك الثمارُ اليانعةُ للزكاةِ والتي تفوق الحصـرَ والحسـابَ لعـل مِـن أبرزِها ما يلي:

أولاً: إنّها سببُ لنماءِ المالِ قال تعالى: ﴿**وما آتيتم مِن ربا ليربو في أموالِ النـاسِ فلا يربو عند اللهِ وما آتيتم مِن زكاةٍ تريدونَ وجهَ اللهِ فأولئك هُم المضعفون**﴾.

ثـانيـاً: إنّ الزكاةَ طهرةُ لهذا المال وطهرةُ لأهلِه إذا أخرجها صاحبها عـن نفسٍ راضيةٍ قال تعالى: ﴿**خُذْ مِن أموالهم صدقة تُطَهرهم وتُزَكيهم بها**﴾.

ثـالثـاً: أنّ فيها سدّاً لحاجةِ الفقراءِ وإبعاداً للعـوزِ عـنهم ففـي حـديثِ معـاذٍ – رضي الله عنه – المتقدمِ فأعْلِمْهم أنّ اللهَ افترض عليهم صدقةً تؤخـذُ مِـن أغنيـائهمِ وتردُ على فقرائِهم». وهذا مَظْهرُ مِن مظـاهِرِ التكافـلِ الاجتمـاعيِ الـذي يتميـزُ بـه الإسلامُ ويدعوا إليه منذُ مئاتِ القرون وقد سبق فيه الأممَ شرقاً وغرباً.

رابعـاً: إنّ في ذلك تقويةً لأواصرِ المحبة بين المسلمين وذلك أنّ الفقـيرَ إذا أعطـاه الغنيُ مِن الصدقةِ فإنّه يُحِبُه ويدعو له بالبركةِ.

خامساً: إنّ فيها قضاءً على الأحقادِ والإحنِ والحَسَدِ إذ أنّ الفقيرَ إذا لم يعطَ مِن الزكاةِ وهو يرى الغِنَىَ عندَ أخيهِ بينما هو في حاجةِ ماسةِ وفقرِ فقد يَحْقِدُ على أخيهِ ويَحْسِدُهُ وربما يدعو عليه.

سادساً: أنّها سبَبُ لدخولِ الجنةِ وذلك رأسُ ما يطلبهُ المسلم. فعن أبي أيوبَ – رضي الله عنه – أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بعملٍ يُدْخِلُني الجنة. قال«تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئاً.وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرحمَ» متفقُ عليه.

وقد استسهل البعضُ في أمرِ الزكاةِ فليعلمْ هؤلاء أنّه قد ورد الوعيدُ منه ﷺ لأولئك الذين يمنعون الزكاةَ ذلك الوعيدُ الذي نرتعدُ منه الفرائص. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِن صاحبِ ذهبٍ، ولا فضةٍ، لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِحتْ له صفائحُ مِن نارٍ، فأحمِيَ عليها في نارِ جهنمِ، فيكوى بها جَنْبُهُ، وجبينُهُ، وظهرهُ، كلما بَرَدَتْ أعُيدتْ له في يومٍ كان مقدارهُ خمسين ألفَ سنةَ، حتى يُقْضى بين العبادِ فيرُى سبيلهُ، إما إلى الجنة، وإما إلى النارِ» قيل: يا رسول الله فالإبلُ؟ قال: «ولا صاحبِ إبلٍ لا يؤدي منها حقَها، ومِن حقهِا حلْبُها يوم وِرْدِها، إلا إذا كان يومُ القيامةِ بُطح لها بقاعٍ قِرْقَرٍ أوفرَ ما كانتْ، لا يَفْقِدُ منها فصيلاً واحداً، تطؤهُ بأخفافِها، وتعضه بأفواهِها، كلما مرّ عليه أَوْلاها، رُدّ عليه أُخْراها. في يومِ كان مقدارهُ خمسين ألف سنةٍ، حتى يُقضى بين العبادِ، فيُرى سبيلهُ، إما إلى الجنةِ وإما إلى النار». قيل: يا رسولَ اللهِ فالبقرُ والغنمُ؟ قال: «ولا صاحبِ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يومُ القيامة، بُطِح لها بقاعِ قَرْقَر. لا يَفْقِدُ منها شيئاً، ليس فيها عقْصاءُ، ولا جلحاءُ، ولا عضباءُ، تنطحُهُ بقرونهِا، وتطؤهُ بأظلافِها، كلما مرّ عليه أولاها. رُد عليه أُخراها، في يومِ كان مقدارهُ

خمسين ألف سنةٍ حتى يُقضى بين العبادِ، فيُرى سبيلهُ إما إلى الجنـةِ وإما إلى النـارِ»
الحديث متفقٌ عليه.

وأعلم أخي أنّ مِن العقوباتِ المُعَجلةِ لمنعِ الزكاةِ منعَ المطرِ كما ثبت بذلك الخبرُ عن النبي ﷺ.

***

رمضان موسم للتائبين

شهر رمضان شهر مبارك، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وأخره عتق من النار شـهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. شـهر تقـال فيه العثرات وتسال العبرات وتنزل الرحمات وتفتح أبواب الجنة وتغلـق فيـه أبـواب النار وتصفد الشياطين، وينادِ مناد من السماء يا باغي الخير أقبـل. ويـا بـاغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار.

هذا الشهر المبارك فرصة للمرء أن يعيد حساباته مع نفسـه ويتـوب إلى الله مـن تقصيره وينخلع من ذنوبه. ويعلنها صريحة مدوية تنبع من قـرارة نفسـه وقلبـه توبـة نصوحاً صادقةً خالصةً لله تعالى. يقول الحق جل جلاله ﴿**يا أيها الذين آمنـوا توبـوا إلى اللهِ توبة نصوحاً...** ﴾[1]. ويقول سبحانه ﴿**وتوبـوا إلى الله جميعـاً أيهـا المؤمنـون لعلكم تفلحون**﴾[2].

وروى الأمام مسلم – رحمه الله – عن الأغر بن يسار المزني – رضـي الله عنـه – قال: قال رسول الله ﷺ «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واسـتغفروه فـإني أتـوب في اليوم مائة مرة**» فإذا كان المصطفى ﷺ وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه ومـا تـأخر – يتوب إلى الله تعالى في اليوم مائة مرة – فمـا حالنـا ونحـن المقصـرون الخطـاءون إنـه جدير بنا المبادرة إلى التوبة وكثرة الاستغفار والحذر من الغفلة عن ذلك أشـد الحـذر

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

لأننا محل الخطأ والزلل.

وقد ذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – أن للتوبة النصوح شروطاً لابد للتائب من تحصيلها فأول هذه الشروط: الإقلاع عن الذنب. والذنب قد يكون بفعل محرم أو ترك واجب. فعلى التائب أن يترك المحرم إن كان ذنبه بسبب ارتكابه لمحرم شرعاً. فلو كان يشرب خمراً، أو يأكل الربا مثلاً فعليه تركه أولاً والابتعاد عنه ليصدق في توبته وإنابته؛ وإن كان ذنبه بسبب تركه لواجب شرعي فعليه الإقلاع عن هذا الذنب وذلك بفعل الواجب الشرعي. فلو كان المرء تاركاً للصلاة مثلاً، أو مانعاً للزكاة أو لم يحج ولم يعمر فعليه أن يؤدي هذا الواجب لتصح توبته. فوالله ما تاب من ظل على منكره ومعصيته لربه وإن قال في نفسه ولسانه أنه تائب إلى الله. ووالله ما تاب من لم يؤد الواجبات الشرعية كما أرادها الله وأرادها المصطفى ﷺ المبلغ عن الله تعالى.

أما الشرط الثاني: فهو الندم على ما فات وذلك بأن يجد المرء في نفسه حسرة وتألماً على ما مضى من تقصير وغفلة بارتكاب ذلك المحرم أو ترك ذلك الواجب. ويتحسر كلما ذكر ذلك التفريط في حق الله وهذا يدفعه لمزيد من الحرص ومزيد من العمل وبذل الوسع في طاعة الله تعالى تكفيراً عن زمن التقصير.

وهناك شرط ثالث: هو العزم على عدم العودة لهذه الذنوب مرة أخرى ولا يكون متردداً فإن مع التردد لا تتحقق توبة وليحذر من التسويف وطول الأمل فإن المرء لا يدري متى يعاجله الموت. فحري بالمؤمن أن يظل ذاكراً لذلك ولا يغفل عنه يقول الشاعر:

أذكر الموت هادم اللذات   وتهيأ لمصرع هو آت

ويقول آخر:

هـو المـوت مـا منـه مـلاذ ومهـرب متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

وهناك **شرط رابع**: وهو خاص بما إذا كان الذنب مظلمة لأحد فيشترط لصحة توبتك رد هذه المظلمة لأهلها فإن كان مالاً رددته لصاحبه وإن كـان غيبـة أو نميمـة ونحوها استبحته واستحللت منه فإن خشيت أن يترتب على استحلاله محـذراً أكـبر من قطيعة رحم، أو غضب ونفور ونحو ذلك.. فعليك أن تذكره بخير وتثني عليـه في مجلس آخر مثل المجلس الذي اغتبته فيه وعليك أن تكثر له مـن الـدعاء والاستغفار عسى الله أن يتوب عليك ويجعل ذلك مكفراً لذنبك.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن علامـة التائـب: إسبال الدمعـة وحـب الخلـوة ومحاسبة النفس على ما فعلت، وكان مالك ابـن دينـار – رحمـه الله تعـالى – يقـول: «البكاء على الخطيئة يحط الخطايا كما تحط الريح الورق اليابس».

فعلى المسلم الذي يدرك رمضان أن يحرص على اغتنام هذا الشهر المبـارك وأن يعود إلى الله عودة صادقة. ولا يفوت على نفسه فرصة نيل مغفرة الله ورضـاه عنـه فهو سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهـار. ويبسـط يـده في النهـار ليتـوب مسيء الليل؛ فقد روى مسلم، عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنـه – قـال: **«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسـيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**.

والله أسأل أن يقبل منا جميعاً صالح الأعمال وأن يغفـر لنـا ولوالـدينا ولجميـع المسلمين.

دروس من الصيام

يقول البارئ جل جلاله في محكم التنزيل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[1].

في هذه الآيات الكريمات بيان شعيرة من أعظم شعائر الإسلام ألا وهي الصيام الذي فرضه الله على هذه الأمة في السنة الثانية من الهجرة فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات.

هذه الشعيرة أحد أركان الإسلام. بل هي الركن الرابع من أركانه ولحكم عظيمة وأهداف سامية أوجب الله الصيام على كل مكلف من أمة محمد ﷺ كما أوجبه سبحانه وتعالى على الأمم السابقة لنا وقد أشارت الآيات الآنفة الذكر إلى ذلك.

والصوم في اللغة مجرد الإمساك. فكل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٨٣ـ ١٨٥.

صائم قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أي خيل ثابتة ممسكة عن الجري والحركة.

وأما الصيام لدى علماء الشريعة فهو: الإمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن مخصوص من شخص مخصوص.

هذا وإن الناظر في حكمة تشريع الصيام وكيفية أدائه ومبتداه ونهايته والممعن في حال الصائمين وقت الصيام ليستخلص من ذلك كله دروساً كثيرة وعبراً جمة وفيرة لا يمكن حصرها في مثل هذه العجالة. ولكن أشير إلى أبرزها ولعل أول ما يطالعنا من هذه الدروس المستفادة من الصيام إن الصيام دلالة على تقوى الله وحسبك بذلك فخراً وعزاً قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ فالصيام دليل على تقوى العبد لله وخوفه منه وطمعه فيما عنده.

فأول هذه الدروس وأزكاها: حصول تقوى الله فالصيام سبب للتقوى ولننظر إلى قول الحق جل جلاله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[1] فقد جعل سبحانه التقوى أثراً من آثار الصيام وسبباً ينبثق عنه وحسبك بالتقوى من بضاعة إذ هي خير زاد يتزود به المسلم في

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

سفره الدنيوي إلى الآخرة دار المستقر ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾[١].

والحصول على الأجر تتوق له النفوس المؤمنة وتشرأب له وتبذل قصارى جهدها في الحصول عليه والوصول إليه: ذلك ما يطالعنا به الدرس الثاني المتمثل في حصول الأجر العظيم والثواب الجزيل للصائمين ويكفي أن تعلم أن المصطفى ﷺ قد أخبر وهو الصادق المصدوق – بأن الله يباعد وجه الصائم عن النار سبعين خريفاً –، فقد روى أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**» متفق عليه.

ثالث هذه الدروس: إن الصيام سبب في مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا والسيئات، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه فجدير بالمسلم أن يعي هذا الفضل ويعد له عدته وأن يحفظ صيامه مما يشوبه أو ينقص ثوابه.

ورابع هذه الدروس المباركة: إن المرء حال صيامه يكون أكثر تقرباً لله وعبادة له من حال فطره، فبنظرة يسيرة في حال الناس في شهر رمضان وشدة محافظتهم على النوافل فضلاً عن الفرائض، كذا تلاوة القرآن وغيرها من الشعائر المباركة تدرك هذا الأثر بجلاء وهذا أثر رسمه الصيام على أخلاقيات أهله.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

وأما **الدرس الخامس** فهو: أن في الصيام ترقيق لقلوب الأغنياء وحفزاً لهم للصدقة على الفقراء، فالغني في حالة صيامه وإحساسه بالجوع هذه الفترة اليسيرة يتذكر إخوانه الفقراء الذين يعانون من الجوع طيلة أيام السنة فالصوم دافع له على شكر الله سبحانه على هذه النعمة ومن ثم البذل لهؤلاء المعوزين والمحتاجين والعطف عليهم وتلمس حاجاتهم.

وسادس هذه الدروس والثمار المباركة: إن في الصيام تعويداً للصائمين على الانتظام والانضباط في جميع أمور الحياة، فالصائم ملزم بالامتناع عن المفطرات فترة محددة تبتدي بطلوع الفجر الثاني وتنتهي بغروب الشمس وهذا يعود المرء كما أسلفت على الانضباط فينبغي أن يدرك المسلم قيمة هذا الدرس وأن ينسحب ذلك على جميع أحوال حياته وألا يقتصر على الصيام فقط.

أما السابع فهو: تعويد الصيام للإنسان على الصبر فتراه يمتنع عن المفطرات مدة معينة مهما أجهده الجوع أو العطش مع شدة الحرارة فيظل صابراً محتسباً، فالصيام إذاً يربي الصائمين على الصبر والتحمل.

الدرس الثامن: يمثل جانباً طبياً، فالصيام إراحة للمعدة من العمل – مدة معينة – فكثرة عملها يجهدها، والمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، لذا نجد أن بعض المرضى ينصحه الأطباء بالصيام كذلك فإن المبتلين بالتدخين يجدون الصيام فرصة قوية أمامهم للإقلاع عنه وذلك لأنه يترك التدخين أثناء صيامه ويصبر على معاناة تركه فحري به أن يستمر على تركه بقية اليوم فمع العزم والتصميم والمثابرة ورجاء ما عند الله سيتحقق له ما أراد – بإذن الله تعالى – وسيدرك المدخن أن الصيام أفضل طريقة لترك التدخين والإقلاع عنه.

وتاسع هذه الدروس: المساواة بين المسلمين جميعاً فنجد أن الصيام تتحقق فيه المساواة بين المسلمين على أكمل وجه، فكل أهل بلد من بلاد الإسلام يعقدون الصوم ويمتنعون عن الأكل والشرب وسائر المفطرات بعد أذان الفجر الثاني ويستمر إمساكهم جميعاً عن تلك المفطرات حتى آذان المغرب يستوي في ذلك الكبير والصغير، الرجل والأنثى، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، كلهم في ذلك سواء. إلا من نابه عذر مانع من الصيام مبيح للفطر. وهذه المساواة في الإمساك والإفطار تجعل بينهم نوعاً من الترابط والتلاحم.

أما الدرس العاشر: فهي أن في الصيام تهذيب للأخلاق وتقويم للسلوك فالصائم مطالب بحفظ جوارحه كلها، لذلك يقول المصطفى ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة – رضي الله عنه – : «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري. فجدير بالمسلم المحافظة على هذا الصيام والحرص على تمامه والحذر من الوقوع في شيء من آفات اللسان المنغصة للصيام من الغيبة والنميمة والسب والشتم ونحو ذلك ليتحقق الهدف المنشود وهو كمال الصيام وتمامه بل أن الرسول ﷺ قد طالب الصائم بعدم الرد على من سبه بمثل صنيعه وأرشده إلى الحل الأمثل بقوله «إني صائم» فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم**» متفق عليه. فإذا حافظ المرء على صيامه وحرص على استقامة سلوكه ومنطقه طيلة أيام الصيام أنعكس ذلك على سائر أيام السنة وشهورها.

الدرس الحادي عشر: أن في الصوم تعويد للمسلم على تحمل المسئولية

والأمانة في ذلك، فهو مسئول عن صومه مؤتمن عليه لا يطلع على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، إذ الصوم أمانة بين العبد وبين ربه عز وجل فلا يستطيع أي شخص مراقبته مهما كانت دقته وحذره لكن مراقبة المرء الصائم لنفسه وتحمله مسئولية صيامه تجعله يظل محافظاً عليه ولو أغري بكنوز الدنيا ما فرط في صوم يوم واحد قد وجب عليه صيامه لإدراكه عظيم الأجر الذي ينتظره عند الله تعالى.

أما **الدرس الثاني عشر** من هذه النجوم المضيئة: أن في الصيام يتحقق الإخاء بين المسلين ويظهر الإيثار وتزول الأنانية فيسود التعاطف والتراحم بينهم ويتكاتفون مع بعضهم فيمد الغني يده إلى الفقير ويشكر الفقير صنائع الغني المحسن ويتحقق فيهم قول المصطفى ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

الدرس الثالث عشر: أن في الصيام تضييق على الشيطان لأن الشيطان يجري من أبن آدم مجرى الدم فبالصيام يضيق عليه، ولكن ليكن معلوماً لديك أخي في الله إن الصيام الذي يصدق عليه أنه يضيق على الشيطان هو الصيام الذي تحفظ فيه الجوارح عن الرفث والفحش والوقوع في أعراض المسلمين، أما من أطلق للسانه العنان كيفما اتفق فصام عما أحل الله له وأفطر على ما حرم الله عليه وجعل يوم صومه ويوم فطره سواء، فهذا لم يضيق على الشيطان كما يتصور بل أوسع له الرحبة وسهل له الطريق.

وآخر الدروس اليانعة: أن الصائم عند فطره يعرف نعمة الله عليه بالإفطار فعندما يؤذن للمغرب تعلو وجهه الفرحة ويبادر للإفطار، ويحمد الله على ذلك، وأنه سبحانه وتعالى ما جعل علينا في الدين من حرج، فماذا لو كلفنا بمواصلة

الصيام طيلة اليوم عدا ساعة واحدة منه مثلاً وما حالنا لـو كلفنـا بصـيام عـدة أيـام متتابعات بلا إفطار وصالاً وكم فيه من المشقة والجهد فينبغي أن نشكر الله على هذه النعمة ونقدرها قدرها.

الكرامات التي أعدها الله للصائمين

قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيـه القـرآن هـدى للنـاس وبينـات مـن الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ [1] الآيـة. فصـيام شـهر رمضـان واجب على كل مسلم قادر وهو أحد أركان الإسلام الـتي لا يسـتقيم إسـلام المـرء بدونه. لذلك صدر الوعيد منه ﷺ لمن أفطر يوماً في نهار رمضان مـن غـير رخصـة وخصها الله له وأخبر أنه لم يقض عنه صـيام الـدهر كلـه وإن صـامه. ومـا ذاك إلا لمكانة الصوم السامية ومنزلته الرفيعة في نظر الشارع سبحانه وتعالى إزاء هـذا كانـت مرتبة الصائمين عالية وأجرهم عظيماً وجعل الله لهم كرامات كثيرة وميزات متعددة نظير صيامهم وصبرهم على ذلك واحتسابهم الأجر عند الله سـبحانه وتعـالى فقـد حبسوا أنفسهم عن الأكل والشـرب والجمـاع ونحوهـا طيلـة الأيـام الـتي صـاموها راجين الأجر من الواحد الأحد ملتمسـين غفـران الـذنوب ومحـو السـيئات ورفـع الدرجات.

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى الصائمين كرامات كثيرة تميزوا بها عـن غيرهـم. وهذه الكرامات لا يتسع المقام لذكرها جميعاً وحسبي أن أشير إلى جانب منها فـأقول

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

مستعيناً بالله: إن من أبرز كرامات الصائمين أن أجر الصيام لا حدود له ولا يعلم أحد قدر هذا الأجر إلا الله سبحانه وتعالى وهذه ميزة للصوم على سائر الأفعال فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: كل عمل أبن آدم له إلا الصيام فأنه لي وأنا أجزي به..**» الحديث. متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**كل عمل أبن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**». قال تعالى: «**إلا الصوم فأنه لي وأنا أجزي به..**» الحديث.

ومن كرامات الصائمين أن الصيام يشفع للصائمين يوم القيامة عند الله سبحانه وتعالى في وقت أحوج ما يكون المرء فيه إلى من يشفع له عند الله في ذلك اليوم العصيب فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» رواه أحمد.

وقد ميز الله الصائمين عن غيرهم فجعل في الجنة باباً يقال له الريان لا يدخله ألا الصائمون وهذه كرامة أختص بها الصائمون لا يشاركهم فيها أحد فعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**» متفق عليه. جعلني الله وإياكم ممن يلج هذا الباب بمنه وكرمه وحيث أن الصائم أخي الكريم يلاقي في صيامه مشاق كثيرة فربما عطش أو جاع أو أرهقه الصوم ومع ذلك فهو مستحمل للمشقة رجاء ما ينتظره من الأجر العظيم لذلك كافئه الله أن يباعد النار عن وجهه سبعين خريفاً فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال

رسول الله ﷺ **«ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»** متفق عليه.

وفم الصائم تنبعث منه روائح نتيجة خلو المعدة من الأكل والشرب وقد يتضايق بعض الناس منها لذا بين الرسول ﷺ أن هذه الروائح الناتجة عن الصيام هي أطيب عند الله من ريح المسك وهذه كرامة أخرى من كرامات الصائمين فقد قال ﷺ **«والذي نفس محمدٍ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك...»** الحديث متفق عليه. وكل إنسان يؤدي عملاً من الأعمال يبتغي بها وجه الله فإنه يفرح بتأديته لذلك العمل ولكن الصائم يفرح فرحتان فقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه. والصائم لاسيما صوم التطوع يختلط كثيراً بأناس مفطرين ويراهم وهم يأكلون ويشربون ولربما غالبه الجوع أو الظمأ ومع ذلك يمكث عندهم وهم على موائدهم صابراً على ظمئه وجوعه محتسباً الأجر من عند الله. لذا ميزه بكرامة تخصه وذلك بأن تصلي عليه الملائكة ما دام الناس يأكلون عنده فعن أم عمارة الأنصارية – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاماً فقال: كلي فقالت إني صائمة فقال رسول الله ﷺ **«إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا وربما قال حتى يشبعوا»** رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ناهيك أن صيام شهر رمضان وحده سبب لمغفرة الذنوب فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»** متفق عليه.

ورمضان شهر البركات تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد

الشياطين فهو موسم للعبادة لا يقارن بغيره فينبغي لكل مسلم استثماره الاستثمار الأحسن والأكمل فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**» متفق عليه.

وفي هذا الشهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر قال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ وقد كان النبي ﷺ يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان فأحرص أخي المسلم على طلبها في العشر الأواخر لا سيما أوتارها عسى أن توافقها فتنال الأجر العظيم فهي كما سمعت خير من ألف شهر. وأعلم أخي الكريم أن كرامات الصائمين لا تقتصر على الصائم وحده بل تمتد إلى كل من ساهم في تفطير أي صائم وهذه من بركات الصيام وأنعام الله على الصائمين ومن يمد يده لعونهم فعن زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

هذه أخي جملة من الكرامات التي أمتاز بها الصائمون فحري بكل مسلم أن يحافظ على صيامه فرضاً كان أو تطوعاً وأن يبتعد عما يخدش هذا الصيام أو ينقص أجره من السب أو الفحش ليأتي صومه تاماً كاملاً فيدرأ بالحسنة السيئة فقد بين لنا رسولنا ﷺ أن الصوم جنة وقال ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فأن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم**» متفق عليه.

* * *

فضل صوم التطوع

شرع الله سبحانه وتعالى لعباده فروضاً وألزمهم بها من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ونحو ذلك فهي أمور لازمة لا مناص للعبد من أدائها والقيام بها وفق ما شرع الله سبحانه فهو مثاب على فعلها إذا أداها امتثالاً لأمر الشارع كما أنه مستحق للعقوبة إذا تركها وهذا شأن كل واجب شرعي.

وكما شرع الله لنا فروضاً وواجبات شرع لنا أيضاً سننا وتطوعات ونوافل ورغبنا فيها وحضنا على القيام بها من غير إلزام بل من قام بها وأداها إقتداءً بالرسول ﷺ واحتساباً للثواب من الله سبحانه وتعالى: أُجر وأُثيب على ذلك ومن تركها فقد حرم نفسه من ذلك الثواب الجم ولا عقوبة عليه وهذا شأن المستحبات والمندوبات الشرعية.

ومما شرع لنا رسولنا ﷺ من التطوعات الشرعية: صيام التطوع وبين ما له من الأجر العظيم وأوضح أنه يأتي في أشهر وأيام مختلفة ليدرك المؤمن ما يستطيع منها فقد لا يستطيع الصوم التطوعي في شهر معين بسبب مرض ونحوه فيجد الفرصة مهيأة له في شهر آخر ومناسبة أخرى.

ولعلنا نورد في السطور التالية جانباً مما سن لنا رسولنا ﷺ صيامه من أيام السنة فنقول مستعينين بالله تعالى:

لقد حث الرسول ﷺ الأمة المسلمة على صيام ستة أيام من شهر شوال وأعتبر أن صيام رمضان وإتباعه بصيام ست من شوال يعدل صوم الدهر. فعن أبي أيوب – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من**

شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم وبيان ذلك أن رمضان ثلاثون يوماً فإذا أضيف إليها ستة أيام من شوال صارت ستاً وثلاثين يوماً والحسنة بعشر أمثالها فتصبح ثلاثمائة وستين يوماً وهذا تمام العام.

ولا يلزم صيام هذه الأيام الستة من شوال بعد عيد الفطر مباشرة بل يجوز في أول الشهر وأوسطه وآخره ويجوز صيامها متتابعة أو متفرقة فالأمر فيه سعة ولله الحمد والمنة.

ومما سن لنا المصطفى ﷺ صومه أيضاً صوم يوم الاثنين والخميس فكان ﷺ يتحرى الصوم فيهما فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «**كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس**» رواه الترمذي وقال حديث حسن. وقد سُئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين فأخبر أنه اليوم الذي ولد فيه وأُنزل القرآن فيه عليه مما يدل على تعظيمه ﷺ لهذا اليوم فعن أبي قتادة – رضي الله عنه – «**أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علي فيه**» رواه مسلم. ومما يزيد في فضل صيام هذين اليومين أنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله كما أخبر بذلك الصادق الصدوق ﷺ فقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

كذلك سن لنا الرسول ﷺ صيام ثلاثة أيام من كل شهر فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «**أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام**» متفق عليه. وذكر الأمام النووي – رحمه الله

تعالى – أن الأفضل صومها في الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقيل الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والصحيح المشهور هو الأول[1]، ويؤيد هذا الرأي ما رواه أبو ذر – رضي الله عنه – قال: «**قال رسول الله ﷺ إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**» رواه الترمذي وقال حديث حسن. يؤيده أيضاً ما رواه قتادة بن ملحان – رضي الله عنه – قال: «**كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**» رواه أبو داود. ولا يتعين صيام أيام البيض بعينها بل هي الأفضل وإلا فللمسلم صيام ثلاثة أيام من أول الشهر أو آخره يعضد هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة – رضي الله عنها – (كان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت: نعم، فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟، قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم) وقد كان رسول الله ﷺ شديد المحافظة على صيام أيام البيض سفراً وحضراً فعن أبن عباس – رضي الله عنهما – قال: «**كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر**» رواه النسائي بإسناد حسن.

ومما يسن صيامه أيضاً تسع ذي الحجة فقد حث ﷺ على الاجتهاد في عشر ذي الحجة، وأخبر أن العمل فيها أحب إلى الله من العمل فيما سواها والصوم من أجل الأفعال وأفضلها، ففعله في هذه الأيام أولى وأحرى فعن ابن عباس – رضي

---

(١) رياض الصالحين للنووي، ص٣٥٩.

الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ ما من أيام العمل الصالح فيهـا أحـب إلى الله من هذه الأيام يعني: أيام العشر، قالوا يا رسـول الله ولا الجهـاد في سـبيل الله قـال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجـع مـن ذلـك بشـيء**» رواه البخاري. والصـوم يختص بالأيـام التسعـة دون العاشر لأنه يوم العيد – أعـني به عيد النحر – الذي يحرم صيامه.

وكما حث الرسول ﷺ على بذل الجهد والعمل الصالح في هذه العشر بعامـة فقد وردت عن ﷺ أحاديث تحث المسلمين على صيام يوم عرفة بخاصـة ولا شـك أنه ليس كغيره من أيام العشر فصيامه يكفر السنة الماضية والباقية فعـن أبـي قتـادة – رضي الله عنه – قال: «**سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قـال: يكفـر السـنة الماضية والباقية**» رواه مسلم. وصوم يوم عرفة مسنون لغير الحجاج أما الحجاج فـلا يسن لهم ذلك بل الأولى عدم الصيام ليتمكنوا مـن الـذكر والـدعاء والاسـتغفار في ذلك المكان الطيب المبارك.

وجود الله واسع وفضله لا ينقطع فقد شرع لنا رسولنا ﷺ إلى جانب ما سـبق صيام شهر الله المحرم واعتبره أفضل الصيام بعد رمضان فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال«قال رسول الله ﷺ أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحـرم، وأفضـل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» رواه مسلم. وفي هذا الشهر يـوم عاشـوراء وهـو اليوم العاشر منه والذي صامه الرسول ﷺ وأمر الناس بصيامه فعـن ابـن عبـاس – رضي الله عنهما – «**أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه**» متفق عليه. وصوم يوم عاشوراء مكفر للسنة التي قبله فعن أبـي قتـادة – رضـي الله عنـه – «**أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: يكفر السنة الماضية**» رواه مسـلم.

ومن أراد صيام يوم عاشوراء فينبغي أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده فصيامه منفرداً لا ينبغي لأن فيه موافقة لليهود ونحن أُمرنا بمخالفة اليهود كما أخبر ﷺ أنـه إن بقـي إلى السنة الآتية ليصومن التاسع مع العاشر فعن ابن عبـاس – رضـي الله عنهمـا – قال: «**قال رسول الله ﷺ لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**» رواه مسلم فلابـد أن يصوم المرء مع العاشر إما التاسع وإما الحادي عشر.

ومن هدي الرسول ﷺ أنه كان يصوم أياماً كثيرة من شهر شعبان فعن عائشـة – رضي الله عنها – قالت: «**لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر مـن شـعبان فإنـه كان يصوم شعبان إلا قليلاً**» متفق عليه.

هذا جانب مما يسن صيامه لكل مسلم ومن كانت لديه قدرة وأراد الزيادة على ذلك فله أن يصوم يوماً ويفطر يوماً فقد ثبت عنه ﷺ قـوله: «**أحـب الصـيام إلى الله صيام داوود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داوود كان ينام نصف الليـل ويقـوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً**» متفق عليه.

وقد سن رسول الله ﷺ الصيام لكل شاب لم يتزوج ولا يستطيع القيـام بأعبـاء الزواج فقال ﷺ «**يا معشر الشباب من استطاع مـنكم البـاءة فليتـزوج فإنـه أغـض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه لـه وجـاء**» رواه البخـاري، ومعنى (الباءة: القدرة على الزواج) ومعنى (وجاء: قطع الشهوة). وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

صيام يوم عاشوراء

إنّ نعمَ اللهِ على عبادهِ كَثيرةُ وآلاؤه جمّةُ لا يحصرُها قلمُ أو تحيطُ بها كلماتُ وهي واجبةُ الشكر وبشكرِها تدومُ وبكفرِها تزولُ، ولقد شَرعَ لنا البارئُ سبحانه أموراً كثيرةً متى ما قمنا بها كان ذلك دليلاً على شكرِنا لهذه النعمِ وإجلالِنا للمنعمِ سبحانه وتعالى ومِن أجلِّ ذلك الصيامُ فعن أبي هريرة – رضي الله عنهُ – قال «قال رسول الله ﷺ كلُ عملِ أبنِ آدم يُضاعفُ الحسنةُ بعشْرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعف قال الله تعالى: «**إلا الصومُ فإنه لي وأنا أجزي به يَدَعَ شهوتهَ وطعامه مِن أجلي، للصائم فرحتان فرحةُ عند فطرهِ وفرحةُ عند لقاء ربهِ ولخلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عند اللهِ من ريح المسكِ**» متفقُ عليه.

لقد سَنّ لنا رسولُنا ﷺ صيام شهرُ اللهِ المحرمُ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «**قال رسولُ اللهِ ﷺ أفضلُ الصيام بعدَ رمضان شهرُ الله المُحرّمُ وأفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضةِ صلاةُ الليل**» رواه مسلمُ، فإنْ لم تتمكنْ أخي من صيامِ الشهرِ كلّهِ أو جُلّهِ فلا تَدعَنَّ صيامَ أفضلهِ وآكِله وهو يومُ عاشوراء اليومُ العاشرُ مِن شهرِ محرمِ فلقد صامَه المصطفى ﷺ وأمر الناسَ بصيامهِ فعن أبنِ عباسِ – رضي الله عنهما – «**أن رسول الله ﷺ قدم إلى المدينةِ فوجد اليهود صياماً يومَ عاشوراءَ فقال لهم رسولُ الله ﷺ ما هذا اليومُ الذي تصومونهَ فقالوا هذا يومُ عظيمُ أنجى اللهُ فيه موسى وقومَهُ وأغرق فرعونَ وقومهَ فصامَه موسى شكراً للهِ فنحنُ نصومُه فقال رسول الله ﷺ نحن أحقُ وأولى بموسى منكم فصامَه رسولُ الله ﷺ وأمر بصيامِه**» متفقُ عليه.

وعن أم المؤمنين حفصةَ – رضي الله عنها – قالتْ «**أربع لم يكنْ يَدَعَهُن رسول الله ﷺ صيامُ عاشوراء والعشر وثلاثةِ أيام من كلِ شهْرِ والركعتينِ قبلَ الغداةِ**» رواه أحمدُ وأبو داوود والنسائيُ والبيهقيُ.

قال الأمامُ الصنعانيُ – رحمه اللهُ – إن صـوم يـوم عاشـوراءَ كـان واجبـاً قبـلَ فرضِ رمضانَ وبعد أن فُرِضَ رمضانُ صار مستحباً.أ هـ

وكما هو معلومُ لك أخي فإن تفضيلَ العبادةِ المقترنَ بزمنٍ أو مكان معيـنين لمـا يترتبُ على أدائِها في ذلك الزمنِ أو المكانِ مِن جزيـلِ الأجـرِ وكـبيرِ الثـوابِ ومِـن ذلك صومُ يوم عاشوراءَ فهو إنما فَضُلَ لما يترتبُ علـى صـيامهِ مِـن الأجـرِ العظـيمِ ويكفي أن تعلمَ أنّ صيامَ يومَ عاشوراءَ يُكفِّرُ سنةً كاملةً وهي السنةُ الماضيةُ فعن أبـي قتادةَ – رضي الله عنه – «**أنّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عـن صـيامِ يـومِ عاشـوراءَ فقـال يُكفِّرُ السنةَ الماضيةَ**» رواه مسلمُ وهذا ولا شكَ فضلُ عظيمُ يجْـدرُ بالمسلمِ الحـرصُ عليه؛ صيامُ يومِ واحدِ يُكفِرُ سنةً والله إنّه لخيرُ عميمُ لا يَدَعُهُ إلا من حُرِمَ.

وأعلمْ أنه يُسنُ لمن أراد صيامَ يومِ عاشوراءَ أن يصومَ يوماً قبلـه أو يومـاً بعـدهُ مخالفةً لليهود وتنفيذاً لأمرِ الرسولِ ﷺ في ذلك فعن أبنِ عباسٍ – رضي الله عنهمـا – قال: «**قال رسولُ اللهِ ﷺ لَـئِنْ بقيـتُ إلى قابـلِ لأصـومنّ التاسـع**» رواه مسـلمُ، ولذلك يُشْرعُ للمرءِ أنْ يصومَ التاسعَ والعاشرَ أو العاشرَ والحادي عشرَ.

فأحرصْ أخي على اغتنامِ مواسم الخيراتِ فإنّ الفُرصَـةَ قـد لا تتهيـأُ للإنسـانِ مرةً أخرى وأَحَدُنا لا يدري ما يعرض له.

* * *

سبل الاستعداد للحج

إن المرء إذا أراد السفر إلى أي قطر من أقطار الأرض فأنه يعد لذلك السفر عدته فيتفقد متاعه وحاجياته من طعام وشراب وملبس ويتفقد الوسيلة التي سوف يسافر عليها ويتأكد من سلامتها ومدى تحملها لهذا السفر إن كانت وسيلة السفر خاصة أما إن كانت عامة كالطائرات مثلاً فتراه يحرص على التأكد من إنهاء إجراءات السفر كالحجوزات ونحوها. هذا حال الناس في أسفارهم.

ولا شك أن مريد الحج إلى بيت الله الحرام بحاجة للاستعداد التام لذلك لتتحقق له الثمار المرجوة من هذا الحج.

وسبل الاستعداد للحج والعمرة كثيرة جداً ومتنوعة أيضاً ولعلي في هذه العجالة أن أقف على بعض منها.

فأول هذه الأمور.. التوبة لله من جميع الذنوب توبة نصوحاً صادقة بقول الحق جل جلاله: ﴿**يا أيها الذي آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا...**﴾ الآية ويقول سبحانه: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ وحقيقة التوبة: الإقلاع عن المعصية كبيرها وصغيرها والندم على ما فات منها، وعقد العزم على عدم العودة لها مرة أخرى هذا، إذا كانت الذنوب حقاً لله تعالى أما إن كان للمخلوق فعليه إلى جانب ما سبق: عليه الاستحلال منهم ورد المظالم لأهلها لما صح عنه ﷺ أنه قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ من بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ منه سيئات صاحبه فحمُل عليه**».

وثاني هذه الأمور.. على المرء إذا عزم على الحج والعمرة: وصية أهله وأصحابه بتقوى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فالتقوى هي خير الزاد.

وأمر ثالث.. وهو كتابة ماله وما عليه من الديون والإشهاد على ذلك لأنه لا يدري ما يعرض له في سفره فينبغي له بيانها وإيضاحها.

أما الأمر الرابع.. الذي ينبغي للحاج التنبه له هو أن يختار لحجه وعمرته الزاد الحلال والنفقة الحلال وأن يتجنب الأكل من الحرام وما فيه شبهة في حج أو في عمرة، بل في سائر أيام عمره، لما صح عن ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى طيب لا يقبلُ إلا طيباً**»، وروى الطبراني عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور**».

وخامس هذه الأمور.. أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله تعالى والدار الآخرة والتقرب إلى الله تعالى بالأقوال والأفعال في تلك المواضع الشريفة المباركة وليحذر كل الحذر من أن يقصد بعمله الدنيا أو أن يقصد الرياء والسمعة فذلك من أقبح المقاصد وهو سبب لحبوط العمل وفساده فهو سبحانه وتعالى غني عن عبادتنا وهو أغنى الشركاء عن الشرك فقد صح عنه ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**».

أما الأمر السادس.. فهو اختيار الرفقة الصالحة وذلك أن يختار في سفره الفضلاء الصالحين من العلماء وطلب العلم والمشهود لهم بالتقوى والصلاح لأن في رفقة هؤلاء أعانته على الخير وتبصيراً له وتسهيلاً لما قد يعرض له في سفره أو حجه من إشكالات أو تساؤلات فيعرضها عليهم كما أن ذلك أوعى لاستثمار أوقاتهم بكل مفيد ونافع. كما أن على المرء أن يحذر من صحبة الأشرار والفساق لأنهم يفتحون له أبواب الشر ويكونون سبباً في إضاعة أوقاته بما لا فائدة فيه بل ربما جر عليه الإثم كالغيبة والنميمة والفحش من القول والعمل.

أمر سابع.. جدير بالأهمية وهو أن يتعلم الحاج ما يشرع له في حجه من الأقوال والأفعال ليعبد الله على بصيرة وذلك بقراءة الكتب النافعة وسماع الأشرطة المعينة التي تبين أحكام الحج والعمرة وتورد بعض الفتاوى لأصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ حول موضوع الحج والعمرة والأمور التي يكثر السؤال عنها ولعل من أنفع وأجمع ما يوصى به في هذا المقام كتاب (التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ كما ينبغي للحاج إذا عرض له أمر يشكل عليه فهمه أو معرفة حكمه فعليه المسارعة في نفس الوقت الذي حصل فيه الخطأ أو الالتباس أقول عليه المبادرة بسؤال أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ عما أشكل عليه حكمه ولا يجوز له التأخير لأنه قد تكون الفتيا تتطلب عمل شيء معين في نفس اليوم الذي وقع فيه الإشكال وهذا يفوت بفواته وربما يترتب على التأخير محاذير أخرى.

وثامن هذه الأمور.. الاستغناء عما في أيدي الناس والتعفف عن سؤالهم فقد قال

ﷺ «من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله».

وأخيراً على المرء الحاج والمعتمر أن يستغل أوقات حجه في صلاح دينه ودنياه من قراءة لكتاب الله وعليه أن يكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والسلام على الرسول ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الإخوان وقضاء حوائجهم. كما يجب عليه أن يحفظ لسانه وسائر جوارحه من الغيبة والنميمة والكذب والوقوع في أعراض الناس وليتذكر دائماً أنه في أوقات معظمة وفي أماكن معظمة لها حرمتها فليتق الله ويجعل لكل شيء قدراً وكما قال أحد السلف – رحمه الله تعالى – لا تنظر إلى صغر ذنبك وانظر إلى عظمة من تعصيه.

* * *

أخطاء شائعة في الحج

إن الحج إلى البيت الحرام أحد أركان الإسلام وهو واجب على العبد في عمره مرة واحدة ولذلك ينبغي للعبد المبادرة إليه والحرص على إتقانه وأدائه كما كان النبي ﷺ يؤديه ويقول للناس «**خذوا عني مناسككم**».

وإن المتأمل في واقع الناس في الحج يرى أخطاءً كثيرة يقع فيها البعض من الحجاج وهم يؤدون هذه الشعيرة العظيمة وهذه الأخطاء كثيرة ومتنوعة منها ما يحصل أثناء الإحرام ومنها ما يقع في مكة والمشاعر ولا يتسع المقام لحصرها جميعاً لكن أشير إلى بعض منها.

فمن الأخطاء التي تقع في الإحرام:

أولاً: من المعلوم أن الإحرام هو نية الدخول في النُسك لكن من الحجاج من يتصور أن الإحرام هو مجرد لبس الرداء فقط.

ثانياً: ومن الأخطاء في الإحرام تصور بعض النساء إن للإحرام ملابس معينة كالأسود مثلاً بيد أن للمرأة أن تلبس ما شاءت من الملابس إنما تجتنب ملابس الزينة والملابس التي تشابه ملابس الرجال.

ثالثاً: الاضطباع عند الإحرام والسنة ألا يضطبع المرء إلا إذا رأى البيت وقبل أن يدخل في الطواف.

أما الطواف فهناك أخطاء كثيرة تقع فيه ومن ذلك:

أولاً: أن البعض وهو يطوف يعتبر بداية الشوط ونهايته من حيث بدأ وهذا خطأ فلا يعتد بالشوط في الطواف إلا إذا بدأه الطائف بالحجر الأسود وختمه

بالحجر الأسود

ثانياً: أن بعض الحجاج يطوف مع الحِجِر والحِجِر جزء من الكعبة فلا يصح الطواف إلا من خلفه.

ثالثاً: أن بعض الطائفين يقبل الركن اليماني والركن اليماني يستلم ولا يقُبل ولا يشار إليه.

رابعاً: هناك من يزاحم وبشدة لتقبيل الحجر الأسود فيضايق الناس وربما دهس بقدميه الآخرين فيرتكب مآثم عظيمة ليحصل سنة وأسوء من ذلك مزاحمة النساء للرجال وما يحصل لهن من ضيق عند الحجر الأسود فيرتكبن محرماً بمزاحمة الرجال في هذه المواطن المباركة لتحصيل سنة.

خامساً: التزام بعض الطائفين أدعية معينة في الطواف فيتخذون لكل شوط دعاء خاصاً به يقرءونه من كتيبات فيقف ويعطل الناس ويضايقهم حتى يكمل دعاء ذلك الشوط وليس حقيقة للطواف دعاء معين إلا ما ورد من قول: ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ بين الركنين اليماني والحجر الأسود، أما ما سوى ذلك فيدعو المرء بما شاء لنفسه ولمن أحب من الوالدين والأولاد ونحوهم.

سادساً: وأسوء من ذلك الأدعية الجماعية واتخاذ الملقنين الذين يرفعون أصواتهم بالدعاء ويرفع الآخرون أصواتهم تبعاً لهم وفي هذا محذوران:

الأول: أنه أمر مبتدع لا دليل عليه وكل بدعة ضلالة.

الثاني: إن فيه إزعاج للطائفين والمصلين وتشويش عليهم.

سابعاً: التمسح بأستار الكعبة والتمسك بها وهذا من الأمور المحدثة التي ينبغي الحذر منها.

ثامناً: الصلاة وسط المطاف جنب الكعبة خاصة عند الزحام فيضيق على الناس ويؤذيه الناس ولو ابتعد قليلاً لصلى بطمأنينة وسلم من أذى الآخرين وسلم الآخرون من أذاه.

تاسعاً: التمسح بمقام إبراهيم وتقبيله وهذه من البدع المنكرة.

عاشراً: في الزحام الشديد يصر البعض على صلاة ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم وهذا خطأ؛ فإن تيسر للمرء صلاة الركعتين خلف المقام بلا زحام أو مضايقة فحسن وإلا فليصلها في أي مكان من الحرم فالحرم كله مقام لإبراهيم ولقد صلاها عمر – رضي الله عنه – بذي طوى.

وأما السعي بين الصفا والمروة فتحصل فيه أخطاء من بعض الحجاج ومن ذلك:

إن بعضهم يسعى أربعة عشر شوطاً إذ يتصور أن الشوط يبدأ بالصفا وينتهي بالصفا، وهذا خطأ إنما الشوط الأول يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة والشوط الثاني يبدأ بالمروة وينتهي بالصفا. وهكذا حتى يكمل سبعة أشواط.

ومن الأخطاء التي تقع في السعي أيضاً أن البعض وهو يسعى إذا حاذى المروة وواجه بعض الصغار الذين معهم مقصات شعر وطلبوا منه قص شعره وافقهم في ذلك ومكنهم من قص شعره وهو لم يكمل السعي بعد وهذا خطأ لأن من محظورات الإحرام قص الشعر وهو هنا محرم.

ومن الأخطاء أيضاً أن بعض النساء تهرول بين الميلين في السعي والهرولة سـنة في حق الرجال دون النساء حتى من كان معه امرأة ويخشى ضياعها في الزحام مـثلاً فلا يلزمه أن يهرول.

وفي الحلق والتقصير بعد السعي يلاحـظ أن بعـض الحجـاج يأخـذ شـعيرات يسيرة من رأسه ويظن إن ذلك كافياً، والأصل أن المرء يقص من جميع الرأس وليس شعيرات من جهة واحدة أو جهتين لأنه يقوم مقام الحق والحق لجميع الرأس.

وفي يوم عرفة تحصل من بعض الحجاج أخطاء كثيرة من ذلك:

أولاً: أن بعض الحجاج يظل في منى – يوم عرفة – حتى العصر فإذا جـاء بعـد العصر أحرم وسار إلى عرفة وهذا خلاف سنة الرسول ﷺ فكان ينبغي له أن يسـير إلى عرفة بعد طلوع الشمس كما فعل الرسول ﷺ.

ثانياً: هناك بعض الحجاج يكلف نفسه بالذهاب إلى جبل عرفة فيصعده وربما صلى فيه وربما جمع الحصى وربطها ونحو ذلك وهذا قد ضيع على نفسه هذا الوقت الثمين ولم يستثمره كما ينبغي بالدعاء والاستغفار ثم هو قد عرض نفسـه للمخـاطر من ضربات الشمس وخطر السيارات ونحو ذلك.

ومن الأخطاء في يوم عرفة أيضاً انصراف البعض قبل غـروب الشـمس ومـن فعل ذلك ولم يرجع من ليله لزمه دم لتركه لواجب من واجبات الحج.

ومن تلك الأخطاء أن البعض لا يتأكد من حدود عرفـة فيقـف في أي مكـان، ومعروف أن الحج عرفة كما بين ﷺ فالوقوف بعرفة ركن من أركان الحـج فمـن لم يقف بعرفة بليـل أو نهـار لم يصـح حجـه فعلـى الحـاج أن يجتهـد في ذلـك بمعرفـة

اللوحات الإرشادية أو سؤال رجال الأمن ونحو ذلك.

ومن الحجاج من يستقبل جبل عرفة في الدعاء وهذا خطأ عظيم والواجب استقبال الكعبة.

وفي مزدلفة تحصل أخطاء أيضاً من بعض الحجاج وذلك أن بعضهم أول ما يصل إلى مزدلفة يبادر بلقط الجمار والسنة أن يبادر إلى الصلاة ثم يطعم وينام ما يشاء الله من ذلك فإذا أراد السير إلى منى لقط الحصى ولا يلزم أن يلتقطها من مزدلفة وله التقاطها من الطريق فقد التقطت الجمار لرسول الله ﷺ وهو في الطريق إلى منى.

ومن الحجاج من لا يتأكد من حدود مزدلفة فيبيت خارجها وهذا خطأ لأن المبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج. كذلك بعضهم ينصرف من مزدلفة قبل نصف الليل ولا يبيت فيها وهذا إن لم يرجع فقد ترك واجباً من واجبات الحج يلزمه به دم.

ومن الأخطاء أيضاً أن بعضهم يجلس بمزدلفة حتى يرتفع النهار وهذا خلاف السنة. فالسنة لمن تأخر بمزدلفة أن يغادر بعد أن يصلي الفجر ويسفر ولا ينتظر خروج الشمس فذلك حج المشركين الذي خالفه الرسول ﷺ.

وفي رمي الجمار أخطاء كثيرة:

١- **من ذلك** أن البعض لا يرتب الرمي فيرمي في أيام التشريق الكبرى قبل الوسطى أو الوسطى قبل الصغرى وهذا خطأ فلابد من ترتيبها الصغرى فالوسطى فالكبرى.

٢- **ومن ذلك** أن البعض لا يتقيد بوقت الرمي فيرمي جمرة العقبة قبل منتصف الليل في ليلة العيد ويرمي الجمرات الثلاث قبل الزوال في أيام

التشريق والأصل أن الرمي لا يكون إلا بعد الزوال ومن عجز عـن الرمـي بالنهار رمى ليلاً والحمد لله.

٣- **كذلك** ما يحصل من البعض من الجهل والسفه أثناء رمـي الجمـار فتجـد بعضهم يبصق على مكان رمي الجمار وربما رماه بالعلـب أو النعـال وربمـا سب وشتم وكأنه يحادث الشيطان ونسى أو جهل أن هذه الأعمال لإقامـة ذكر الله عز وجل فيقول ﷺ «**إنما جُعل الطـواف بالبيـت وبالصـفا والمـروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل**».

٤- **ومن الحجاج من يخطئ** في موضـع الرمـي وهـو حـوض الجمـرة فيرمـي بالحصاة العمود فتطير وتطيش الحصـاة ولا تقـع في الحـوض وهنـا يكـون عمله ناقصاً إذ لابد أن يقع الحصى في الحوض.

٥- **ومن الأخطاء الفادحة** أن بعضهم يرمي يوم العيد ثم يوكّل غيره في الرمـي أيام التشريق ويطوف طواف الوداع قبل أن تكتمل أعمال الحج ثـم يسـافر إلى بلده، وهذا من العبث في النُسـك والله سبحانه يقـول: ﴿**وأتمـوا الحـج والعمرة لله**﴾.

٦- **ومن الحجاج من يخطئ في فهم التعجل** فيتصور أن المراد باليومين المـذكورة في قوله تعالى: ﴿**فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه**﴾ أن المراد يوم العيد ويوم بعده وهذا خطأ فالمراد باليومين هما: (الأول والثاني من أيام التشريق).

فعلى المسلم أن يحرص على تمام حجه وإكماله كما شرع الله وبين رسـوله ﷺ ويحذر من التفريط والبحث عن الرخص فذلك من أزّ الشيطان، نسأل الله السـلامة والعافية.

من أعمال يوم عرفة

إن الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة ركن من أركان الحج لا يصح الحج بدونه فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**الحج عرفة**»، فلابد للحاج من الوقوف في اليوم التاسع من ذي الحجة بعرفة، فإن لم يتمكن من ذلك في ذلك اليوم وقف ليلة العاشر من ذي الحجة، فإن طلع عليه فجر العاشر من ذي الحجة ولم يقف بعرفة بعد فلا حج له للحديث المتقدم.

ومادام أن الوقوف بعرفة بهذه المكانة ويوم عرفة له هذه الأهمية الكبيرة فلعلنا في هذه العجالة أن نعرض بعض الأعمال التي ينبغي أن يعملها المسلم في يوم عرفة سواء كان من الحجاج أو غيرهم ونشير إلى بعض المحاذير التي يجدر بالحجاج الحذر منها حرصاً على تمام حجهم وليظفروا برضاء الله وثوابه وقبوله عملهم، فإن متابعة الرسول ﷺ في أداء النُسك أمر ضروري حيث أمر أصحابه والناس بعدهم بذلك، فقال: «**خذوا عني مناسككم**».

فأما الحجاج فيسن لهم الذهاب أولاً إلى نمرة والوقوف بها إلى الزوال، إن تيسر لهم ذلك فيستمعون الخطبة ثم يصلون الظهر والعصر جمعاً وقصراً مع إمام مسجد نمرة، فإذا أدوا الصلاة ذهبوا ووقفوا بعرفة إلى الغروب والذهاب إلى نمرة سنة فإن تيسر ذلك فحسن وإن لم يتيسر ذلك أو كان هناك مشقة ذهب إلى عرفة مباشرة وجلس هناك يذكر الله ويسبح ويهلل ويدعو حتى الزوال، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً بآذان واحد وإقامتين، ويشرع للحجاج في هذا اليوم المبارك، كما ذكرت الانشغال بالأعمال الصالحة من ذكر الله والاستغفار والتسبيح

والتهليل والتكبير والتحميد، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير**».

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وينبغي الإكثار من هذا الدعاء، وغيره من الأدعية الجامعة مثل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

وينبغي أن يلح المرء في الدعاء ويخبت لله ويريه من نفسه انكساراً وتذللاً بين يديه سبحانه، لأن هذا اليوم عظيم يباهي الله بعباده ملائكته ويكثر فيه العتق من النار وما رؤي الشيطان في يوم أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة إلا ما كان من يوم بدر لما يرى من جود الله وإحسانه على عباده وعتقه لهم، وفي صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم ملائكته فيقول ما أراد هؤلاء؟**» فعلى المسلم أن يُري الله منه خيراً ويكثر التوبة الاستغفار والإنابة لله تعالى والحذر من إضاعة الوقت بما لا طائل تحته فبعض الناس يشغلون وقتهم بالأحاديث البعيدة كل البعد عن الذكر والاستغفار وأسوأ من ذلك وأشد ما يصدر من البعض – هداهم الله – من الفحش والغيبة والنميمة والتعرض لأعراض الناس والنهش في

لحومهم ناسين أو متناسين حرمة الزمان والمكان وكأنهم في رحلة أو سياحة لأحد البلدان غفلوا عن الهدف الذي جاءوا من أجله.

كما أن بعض الحجاج - هداهم الله- يشغلون أنفسهم بالذهاب إلى جبل عرفة، وهو ما يعرف عند العامة بجبل الرحمة يكلفون أنفسهم مشقة الذهاب إليه بل والصعود عليه وهذا فيه محذور من عدة وجوه:

أولا: أن الرسول ﷺ حين وقف بعرفة لم يصعد الجبل ولم يأمر أصحابه بذلك بل حثهم على الذكر والدعاء والاستغفار كما مر، فالتكلف بالذهاب إلى الجبل وصعوده أو الصلاة فيه يعتبر مخالفة لهديه ﷺ وبدعة محدثة في الدين.

ثانياً: أنه يجهد نفسه ويتعرض لضربات الشمس وقد يموت من ذلك وهو يؤدي أمر غير مشروع فيأثم بفعله ذلك.

ثالثاً: أنه بذهابه وأشغال نفسه بذلك قد فوت على نفسه خير كثير كان حقه ألا يفوته من الذكر والاستغفار.

وينبغي أن يظل الحاج بعرفة حتى تغرب الشمس فإذا غربت خرج إلى مزدلفة فمن خرج من عرفة قبل غروب الشمس ولم يرجع من الليل لزمه دم مع التوبة والاستغفار لأنه ترك واجباً من واجبات الحج.

- ومن رحمة الله سبحانه - بعباده أن فضل عرفة لم يقتصر على أهل عرفة فحسب بل تعداهم إلى غيرهم من سائر المسلمين في سائر الأمصار. فقد حث الرسول ﷺ على صيام يوم عرفة لغير الحجاج وبين أن صيام هذا اليوم يكفر السنة الماضية والآتية، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: سُئل

رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**» رواه مسلم، فيا له من فضل عظيم ومورد كريم وحري بكل مسلم ألا يفوت مثل هذه الفرصة على نفسه.

أما الحجاج أخي في الله فلا يشرع لهم الصيام في يوم عرفة كما أسلفنا ليكون ذلك أقوى لهم على الدعاء، والابتهال إلى الله في ذلك الصعيد المبارك واليوم المبارك.

كما يشرع لغير الحجاج أيضاً: الاستغفار والذكر والتهليل والتحميد والتكبير حيث يبدأ التكبير المقيد عن فجر يوم عرفة وذلك بعد الصلوات، أما التكبير المطلق فيبدأ بدخول شهر ذي الحجة في الأسواق حيث ثبت أن السلف كابن عمر وأبي هريرة وغيرهما كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير في الأسواق فيكبرون ويكبر الناس بتكبيرهم.

❊ ❊ ❊

آداب رمي الجمار

إن الله سبحانه وتعالى حين خلق الخلق لم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم رسلاً وأنزل على الرسل كتباً تهديهم إلى صراط مستقيم.

وحين بعث الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بعثه بالشريعة السمحة فما من خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه فهو كما وصفه ربه سبحانه: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ فالخير كل الخير في إتباع ما جاء به وحذرنا سبحانه عن مخالفة أمره فقال سبحانه: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

وإن المتتبع لحال الناس وهم يؤدون فريضة الحج إلى بيت الله الحرام يرى كثيراً من المخالفات الشرعية التي خالف فيها بعض الحجاج – هداهم الله – هدي النبي ﷺ في الحج والعمرة والذي كان كثيراً ما يقول:«خذوا عني مناسككم» وهذا أمر منه ﷺ لأمته بضرورة متابعته في أقواله وأفعاله.

ألا وإن مما يجدر بيانه ما يتصل برمي الجمار كشعيرة من شعائر الحج وهنا أبين شيئاً من أحكام رمي الجمار وآدابها ثم أشير إلى بعض الأخطاء التي يقع البعض فيها فأقول والله المستعان إن الشارع الحكيم قد حدد وقتاً لرمي الجمرات ويبدأ من اليوم العاشر من ذي الحجة – يوم العيد – فعندما يصل الحاج يوم العيد إلى منى يقطع التلبية عند جمرة العقبة ثم يرميها من حين وصوله بسبع حصيات متعاقبات يرفع يديه عند رمي كل حصاة ويكبر ويستحب أن يرميها من بطن الوادي ويجعل الكعبة عن يساره ومنى عن يمينه لفعل النبي ﷺ وإن رماها من الجوانب الأخرى

أجزاه إذا وقع الحصى في المرمى ولا يشترط بقاء الحصى في المرمى وإنما المشترط وقوعه فيه فلو وقعت الحصاة في المرمى ثم خرجت منه أجزأت في ظاهر كلام أهل العلم. ويكون حصى الجمار مثل حصى الخذف وهو أكبر من الحمص قليلاً. هذا بالنسبة لليوم الأول وهو يوم العيد فليس فيه إلا رمي جمرة العقبة فقط. وهذا الوقت الذي أشرت إليه إنما هو للأقوياء أما الضعفاء فقد رخص لهم الرسول ﷺ بالانصراف من مزدلفة بعد مضي نصف الليل – ليلة العيد – فإذا وصلوا منى رموا جمرة العقبة ولو كان ذلك قبل الفجر. أما الأقوياء فيفعلون كما فعل النبي ﷺ فإنه ظل في مزدلفة ليلة العيد حتى صلى بها الصبح فلما أسفر سار إلى منى ثم أبتدأ برمي جمرة العقبة أما في اليومين الحادي عشر والثاني عشر وكذلك الثالث عشر – لغير المتعجل – فيرمي الحاج الجمرات الثلاث كل واحدة بسبع حصيات ويبدأ الرمي لهذه الجمرات الثلاث في هذه الأيام بعد الزوال ولا يصح الرمي قبله، كما يجب الترتيب في رمي هذه الجمرات فيبدأ بالصغرى وهي التي تلي مسجد الخنيف فيرميها بسبع متعاقبات يرفع يديه مع كل حصاة مكبراً ويسن أن يتأخر عنها ويجعلها عن يساره ويستقبل القبلة ويرفع يديه ويكثر من الدعاء والتضرع ثم يرمي الجمرة الثانية كرمي الأولى ويسن أن يتقدم قليلاً بعد رميها ويجعلها عن يمينه ويستقبل القبلة ويرفع يديه فيدعوا كثيراً ثم يرمي الجمرة الثالثة – العقبة – ولا يقف عندها وفي اليومين الثاني عشر والثالث عشر يرمي الجمرات الثلاث ويفعل كما فعل في اليوم الحادي عشر، والرمي في اليومين الحادي عشر والثاني عشر واجب من واجبات الحج. ويجوز لولي الصغير العاجز عن الرمي وكذا البنت الصغيرة أن يرمي عنهما بعد أن يرمي الولي عن نفسه لحديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –

قال«حججنا مع النبي ﷺ ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم» أخرجه أبن ماجة. كما يجوز للعاجز عن الرمي لمرض أو كبر سن أو حمل أن يوكل من يرمي عنه لقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وهؤلاء لا يستطيعون مزاحمة الناس عند الجمرات وزمن الرمي يفوت، ولا يشرع قضاؤه لهم ولذا جاز لهم أن يوكلوا.

ويجوز للنائب أن يرمي عن نفسه ثم عن مستنيبه كل جمرة من الجمرات الثلاث وهو في موقف واحد ولا يلزمه أن يرمي عن نفسه الجمرات الثلاث ثم يعود مرة أخرى ليرمي عن موكله؛ هذا طرف من أحكام رمي الجمار.

ولعلي في السطور الآتية أن أشير إلى بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الحجاج مما هو متصل برمي الجمرات إما جهلاً بالحكم أو تساهلاً به وكلا الأمرين خطير فالجاهل يجب أن يتعلم لقوله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** والمتساهل عليه أن يتق الله ويعلم أنه يؤدي نسكاً طالبه فيه المصطفى ﷺ بمتابعته فيه حيث يقول «**خذوا عني مناسككم**».

أما الأخطاء فمتنوعة فمنها ما يتعلق بزمن الرمي ومنها وما يتصل بمكانه وما له علاقة بطريقة الرمي أو ما يرمى به. وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: الأخطاء المتعلقة بزمان الرمي:

من المعلوم أن زمان الرمي يوم العيد يبدأ من بعد صلاة الفجر لغير الضعفاء الذين رخص لهم الرسول ﷺ بالسير من مزدلفة بعد مضي نصف الليل، وأما أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فيبدأ الرمي فيها – كما مر – بعد الزوال في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة؛ ولكن الملاحظ على بعض الناس –

هداهم الله – أنه يبدأ الرمي قبل وقته المحدد شرعاً فيرمي قبل الزوال – في أيام التشريق – وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ الذي بدأ الرمي بعد الزوال وكان يقول: «**خذوا عني مناسككم**».

ثانياً: مكان الرمي:

فإن المطلوب من الحاج أن يرمي الحصاة في الحوض – حوض الجمرة – سواء أصاب العمود – الشاخص – أم لا إذ المهم أن تسقط في الحوض؛ وحال بعض الناس أنه يهتم بضرب العمود سواء سقطت الحصاة في الحوض أم لا، وفي هذا خطأ كبير وأسوء من ذلك وأعظم أن البعض يرمي الجمرة من مسافات بعيدة فيترتب على ذلك عدة محاذير منها:

١- أن الحصاة قد لا تسقط في الحوض فتسقط دونه والرمي عبادة ولابد لأداء العبادة من يقين.

٢- إنه قد يصيب الناس بهذه الحصات فقد يفقأ عين أحد فيرتكب إثماً بدل أن يقدم عملاً صالحاً.

ثالثاً: إن البعض هداهم الله يرمي بحصاة كبيرة وهذا خلاف السنة؛ بل هو نوع من الغلو فالرسول ﷺ رفع حصاة صغيرة بحجم الحمصة وقال بهذه عباد الله فارموا، وإياكم والغلو. وأسوء من ذلك ما يفعله البعض من الرمي بالنعال أو العلب أو البصق ونحو ذلك، فهذا من العبث بأحكام الله ومن تلاعب الشيطان، ومثل ذلك من يسب ويشتم، فالرسول ﷺ يقول: «**إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**».

رابعاً: إن البعض هداهم الله يرمون جماعات جماعات، فيضايقون الناس وربما داسوا الناس بأقدامهم بلا رحمة لا يرحمون الكبير ولا الصغير وهم يؤدون شعيرة عظيمة فهذا الذي يؤذي إخوانه ويدوسهم بقدمه فأي شعيرة أدى؟ وأي نوع من الحجاج هذا المؤذي؟

خامساً: إن بعض الأشخاص يكون ضعيفاً في بدنه أو معه ضعفاء من الرجال أو النساء فيختار وقتاً غير مناسب له ولمن معه من ضعفة إذ يأتي إلى الجمرة وقت الذروة وكثرة الزحام فيخاطر بنفسه أو من معه وكان الأولى له أن يختار وقتاً مناسباً لحاله وحال من معه لا زحام فيه فمن الممكن أن يرمون ليلاً لاسيما بعد صلاة العشاء بقليل فالمعتاد في هذا الوقت أن يقل الذين يرمون وهذا في اليوم الحادي عشر، أما اليوم الثاني عشر والثالث عشر فقُبيل المغرب، فالحمد لله الأمر فيه سعة ورسول الله ﷺ حدد بداية الرمي ولم يحدد نهايته فإن تيسر الرمي نهاراً بلا مشقة تضره فهذا حسن وإلا رمى ليلاً وأن شق عليه ذلك. أخر الرمي كله لآخر يوم فيرميها جميعاً ولكن يرتب ذلك فيرمي جمرة العقبة أولاً وينويها ليوم العيد ثم يعود فيرمي الصغرى فالوسطى فالكبرى وينويها عن اليوم الحادي عشر وهكذا.

سادساً: ومن أخطاء الرمي إن البعض لا يرتب الجمرات عند الرمي في اليوم الحادي عشر فما بعده إذ لابد أن يرمي الصغرى أولاً ثم الوسطى ثم الكبرى ولا يجزئ الرمي إلا مرتباً، فلو بدأ بالكبرى ثم الوسطى ثم الصغرى لا يعتبر رمى إلا جمرة واحدة وهي الصغرى وعليه أنه يعيد الأخر.

هذا ما تيسر بيانه في هذا الباب سائلاً المولى القدير أن يتجاوز عما بدر منا من تقصير.

حقوق حفظتها الشريعة

١- حق الوالدين.

٢- حق الأولاد.

٣- حق الأرحام.

٤- حقوق ولاة الأمر.

٥- حق الأيتام.

٦- حق الجار.

٧- الحقوق العشرة.

حق الوالدين

إن من أوجب الحقوق وأعظمها على المسلم بر الوالدين ذلك الحق الذي قرن الله بين الأمر به وبين إخلاص العبادة له سبحانه وتعالى فقال تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...**﴾ الآية. فكما يطالبنا الحق سبحانه بإخلاص العبادة له وحد لا شريك له فهو كذلك يطالبنا بالإحسان إلى الوالدين وبرهما والتودد لهما. ثم إنه سبحانه يراعي الوقت الذي يكون الوالد فيه أكثر احتياجاً إلى ولده، وذلك في حال كبره وضعفه فيحث الولد على ضرورة الإحسان إلى والديه في هذه الحالة وبرهما والصبر على أذاهما ويذكره بفضلهما عليه فيما سبق أبان صغره وأنهما تحملا أذاه وتربيته وهو صغير فيقول سبحانه في معرض حديثه عن الوالدين: ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيراً**﴾ وقال تعالى في موضع أخر: ﴿**أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير**﴾ فانظر رحمك الله كيف قرن الله شكر الوالدين بشكره تعالى. قال أبن عباس – رضي الله عنهما – (ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها): **أحدهما** قوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. **والثانية** قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة**﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه. **والثالثة** قوله تعالى: ﴿**أن أشكر لي**

ولوالديك﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وسنة الرسول ﷺ زاخرة بالأحاديث التي تحث على بر الوالدين وترغب فيه وتحذر من عقوق الوالدين وتزجر عنه. فمن ذلك ما جاء عن أبن مسعود – رضي الله عنه – قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت ثم أي؟ قال «**الجهاد في سبيل الله**» متفق عليه. بل إنه ﷺ قد بين أن الوالدين لاسيما الأم أحق بالصحبة من غيرهما من الناس فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أبوك» متفق عليه. وفي رواية «يا رسول الله من أحق بحق الصحبة؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك». وأخبر ﷺ عن ذل وخسارة من أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة أي أنه لم يبرهما ويقوم بحقوقهما عليه ليكون ذلك سبباً لدخوله الجنة. فقال ﷺ محذراً من السمة السيئة:«رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة» رواه مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – . بل أن المصطفى ﷺ أمر من بايعه على الجهاد – وهو ذروة سنام الإسلام وفيه من الأجر ما لا يخفى – أقول أمر من بايعه واستأذنه في الجهاد أمره بالرجوع إلى والديه وإحسان صحبتهما. فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – «قال أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله تعالى.. فقال هل لك من والديك أحد حي؟ قال نعم بل

كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال نعم. قال فأرجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» متفق عليه.

ولقد حذر المصطفى ﷺ من عقوق الوالدين وعد ذلك من كبائر الذنوب فعن أبي بكرة نفيع بن الحارث – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ قال«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» متفق عليه. فأنظر رعاك الله كيف جمع المصطفى ﷺ عقوق الوالدين مع الشرك بالله وشهادة الزور الذين هما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال «الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس».

وحيث أن حق الأم على الولد أكبر من حق الأب عليه وهي مظنة العقوق من الولد أكثر من الأب وذلك لضعفها في الغالب ولكثرة ما يقع بينها وبين زوجته مثلاً من مشكلات لذلك فقد أخبر المصطفى ﷺ تحريم الله لعقوق الأمهات محذراً ومنذراً. فعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**» متفق عليه.

ومن مظان العقوق التي يستسهلها البعض – هداهم الله – ما يحصل من شتم بعضهم لوالدي الأخر والأخر يضحك بل ربما رد عليه بمثل ما صنع مع

ابتسامات عريضة ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم فلقد حذر الرسول ﷺ من ذلك وبين أن سب المرء لوالد غيره سيرجع لا محالة لوالدي من صدر السب منه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال«من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» متفق عليه. وفي رواية«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

واعلم رحمك الله أن العاق لوالديه جدير أن يعجل الله له العقوبة في الدنيا، قال كعب الأحبار – رحمه الله تعالى – : إن الله يعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب وإن الله يزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً... أه. وسئل – رحمه الله – عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما وإذا أستأمناه خانهما.

فعلى المسلم أن يتقي الله في والديه ويحرص على برهما ويحذر من عقوقهما فإن من بر والديه بره أولاده. ومن عق والديه عقه أولاده فالجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان. وحري بك أخي المسلم أن تلتمس رضا الله تعالى فرضاه برضا الوالدين وسخطه بسخطهما.

***

حق الأولاد

يقول الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الآية.. فالأولاد زينة الحياة وزهرتها بهم تحصل السعادة ويكتمل الأنس وهم في نفس الوقت أكبادنا التي تمشي على الأرض.

فالأولاد زينة إن وجهوا التوجيه الأمثل، وإلا صار الشقاء والعناء. والمرء في هذه الحياة، مطالب ببذل قصارى جهده في تربية أولاده ورعايتهم الرعاية الصالحة يقول الرسول ﷺ «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته». والناس في تربية أولادهم مختلفون إذ لهم في ذلك طرق ومسالك مختلفة:

فمن الناس من يستخدم أسلوب التعنيف في تربية أولاده ولو لغير سبب مقنع فلا تراه إلا غاضباً عبوساً فالتفاهم بينهم مفقود ولا رأي للولد بل مجرد أداة تنفيذ. ولهذا المسلك أثره السيئ إذ سينشأ الولد مسلوب الرأي عديم الشخصية لا يستطيع البت في أي أمر من الأمور ولربما جره ذلك إلى انتهاج أي أسلوب ولو كان شاذاً لإثبات وجوده، علاوة على أن في هذا المبدأ قضاء على روح الشورى التي ينبغي أن تسود بين الأب وأبنائه خاصة بعد نضوجهم. بل ربما جرهم هذا العمل لهجر المنزل فتتلقفهم الأيادي الآثمة وتستغل هذه الفجوة بينهم وبين والديهم.

وهناك نوع من الآباء تركوا لأبنائهم الحبل على الغارب فأعطوهم مطلق الحرية والتصرف دون متابعة فأولوهم الثقة العمياء. بل ومما يزيد الطين بلة أن

بعض الأباء قد أغدق على أبنائه الأموال وأطلق أيديهم في التصرف كيفما شاءوا. ولهذا أثره المشين الذي لا يخفى إذ الابن لا يدرك قيمة هذا المال فلربما استخدمه استخداماً سيئاً وصار ذلك المال سلماً يوصله إلى باب الرذيلة ويجعله صيداً سهلاً بأيدي أولئك العابثين. وقد أحسن الشاعر حينما قال:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وهناك نوع ثالث من الأباء يجعلون جل تفكيرهم منصب على ما يحققه الأبناء من نتائج دراسية فيجعلون مكافئتهم تذاكر سفر إلى بلاد الكفر والإلحاد يرمون بفلذات أكبادهم في أحضان الكفرة ثم بعد فوات الأوان يندمون ولات ساعة مندم.

أما النوع الأخير فهم الذين ساروا خلف خطى النبي ﷺ وامتثلوا قول الحق سبحانه: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ فحازوا قصب السبق في ذلك وطريقتهم في تربية أبنائهم طريقة مثلى ارتسموا لها عدة أمور نجملها فيما يلي:

أولاً: تنشئة الأبناء تنشئة صالحة زادها التقوى. وذلك بتحفيظهم لكتاب الله وإروائهم من معين السنة المغدق ومن سيرة السلف الصالح الذين هم القدوة لهذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

ثانياً: المتابعة الدائمة لهؤلاء الأبناء متابعة لا تزعج ولا تمل وليس ذلك في المنزل فحسب بل وفي المدرسة وفي زياراته لأصدقائه ورحلاته معهم فلابد أن يعرف الأب عن ابنه كل شيء فالشاعر يقول:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فالجليس الصالح كما وصفه الرسول ﷺ ببائع المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تكتسب منه رائحة طيبة وجليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن يؤذيك برائحته.

ثالثاً: محاولة ملء الفراغ لدى الأبناء بكل ما هو مفيد كل بحسبه فما يصلح للصغير لا يتناسب مع الكبير وإذا لم يحاول الأب ملء هذا الفراغ لدى أبنائه فلربما أساء الأبناء الاستفادة منه.

رابعاً: ثم إن الأعمال والارتباطات لدى الإنسان قد تأخذ من وقته نصيب الأسد لذا ينبغي أن يعطي أولاده حقهم فيفرغ جزءاً من وقته لهم يوجههم ويكشف مشكلاتهم ويباشر حلها بنفسه ويستمع لآرائهم ويشجعهم على إبداء الرأي.

خامساً: تشجيع كل من أنجز عملاً خيرياً فيجعل مثلاً جوائز لمن حفظ جزء من كتاب الله كذلك مكافئة لمن ساعد ضعيفاً أو محتاجاً لغرس بذرة الخير فيهم.

سادساً: وضع مكتبات خاصة في البيوت تروي ظمئ أبنائهم وتقضي على وقت فراغهم وتحتوي هذه المكتبات على الجيد والمفيد دون حشوها بالغث والسمين.

* * *

حق الأرحام

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله عليكم رقيباً**﴾[(١)] وبالنظر في هذه الآية.. نجدها تتضمن أموراً كثيرة من الأمر بتقوى الله سبحانه وتعالى وبيان مظاهر الامتنان بخلق الإنسان وما تبع ذلك من تناسل وتكاثر رجالاً ونساء وكل أمر من هذه الأمور بحاجة إلى بحث وتفصيل لا يتسع المقام لذكره ولكن سأقتصر في حديثي هذا على ما ورد في آخر هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾.

الأرحام: جمع الرحم والرحم في اللغة: القرابة، والرحمة والتعطف والرأفة.

وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً، وأما الرحم في الاصطلاح فهو: أسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره. ذكر هذا الأمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره[(٢)].

أما عن موقف الشرع من الرحم وما أعد الله لمن وصل رحمه من الثواب الجزيل وما ورد من الوعيد الشديد لمن قطع رحمه. فنقول: إن الله سبحانه وتعالى قد حث المؤمنين على صلة الأرحام ورغبهم فيها وبالنظر إلى الآية الأنفة الذكر وهي

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٥ ص٧.

قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[(١)] نجد أن الله سبحانه وتعالى قد قرن فيها بين تقواه سبحانه وبين صلة الأرحام قال الإمام القرطبي – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: (اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها والجمع بين تقوى الله والحث على صلة الرحم والتحذير من قطعها دليل على تأكيد الإسلام على صلة الأرحام وإلا لما جعله الله قريناً للتقوى فلما جمع معه تأكد الحث عليه والعناية به[(٢)].

وفي موضع آخر من القرآن جمع الله بين الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم فقال تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾[(٣)] ولا شك أن لهذا الجمع مغزى ألا وهو تبكيت قطيعة الرحم والتحذير منها فمجرد الجمع بين القطيعة والإفساد فيه تحذير ووعيد، ثم أنه سبحانه قد رتب في الآية التي هذه الآية اللعن على من هذه حاله وأخبر إنه سبحانه قد صم أذنيه عن سماع الحق وأعمى بصره عن رؤية الطريق المستقيم طريق أوليائه الصالحين فقال سبحانه: ﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[(٤)] ثم إنه سبحانه وتعالى قد توعد الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام وغيرها فقال تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٥ ص٣.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٤) سورة محمد، آية: ٢٣.

ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[1] ومن هذه الآية نستلهم وجوب صلة الأرحام وتحريم قطيعة الرحم، إذ أن الحق سبحانه قد توعد من يقطع ما أمر الله بوصله من رحم وغيره، قد توعده باللعن وهو الطرد من رحمة الله كما توعده بأن له سوء الدار والمراد بذلك جهنم حمانا الله وإياكم منها. وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ تحث على صلة الأرحام وترغب فيها وتبين ما اشتملت عليه من الأجر العميم والثواب الجزيل لمن وصل رحمه وحسنت نيته في ذلك أي فعل ذلك محتسباً الأجر من الله فمن ذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» فقد حث الرسول ﷺ على صلة الأرحام وجعل ذلك علامة على قوة الإيمان بالله واليوم الآخر وأن ترك ذلك مما يضعف الإيمان وينقصه إذ قطيعة الرحم معصية والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما هو مقرر لدى علماء الإسلام. ثم أنه ﷺ قد أخبر إن صلة الرحم سبب في بسط الرزق وطول العمر والبركة فيه فعن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» متفق عليه. ومعنى ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله وعمره فما أعظمها من خصلة وما أجدر بالمسلمين من الأخذ بها.

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٥.

وحيث أن مطامع المؤمن لا تقتصر على أمور الدنيا الفانية بل نظره وجل فكره ينصرف إلى الدار الآخرة وما أعد له الله فيها لذا بين ﷺ إن صلة الرحم مما يدخل الجنة ويباعد عن النار، فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري – رضي الله عنه – إن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**» متفق عليه. وهذا يدل على فضل صلة الرحم وسمو مكانته حيث جمعه الرسول ﷺ مع إخلاص العبادة لله والصلاة والزكاة فوق ما أخبر من أنه يدخل الجنة ويباعد فاعله عن النار.

وصلة الرحم لا تقتصر على وصل من وصلك لأن هذا من باب المكافئة ورد الجميل ولكن الواصل الحقيقي هو من يصل أرحامه الذين يقطعونه مصداق هذا ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» رواه البخاري. وبذلك يزيد أجر المرء الواصل لأقاربه وذوي رحمه المحسن إليهم الصابر على ذلك إذا كانوا يسيئون إليه رغم إحسانه ويقطعونه رغم صلته أما أقاربه القاطعون المسيئون لمن أحسن إليهم فعليهم وزر عظيم وذنب كبير، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلاً قال يا رسول الله أن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» رواه مسلم.

وتسفهم المل: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق الرماد الحار من الألم.

ومن حرص الإسلام على صلة الرحم ومنعه القطيعة أنه لم يستثن أحداً من الأقارب فيرخص بقطيعته حتى القريب الكافر أمر الإسلام بصلته والإحسان إليه. فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – قالت «قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت؟ قدمت عليّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي قال: «**نعم صلي أمك**» متفق عليه.

قولها راغبة: أي طامعة عندي تسألني شيئاً.

وترغيباً في صلة الرحم فقد فرق الرسول ﷺ بين الصدقة على المسكين البعيد وبين الصدقة على المسكين ذي الرحم وجعل الصدقة على ذي الرحم تفضل من الصدقة على غيره لأجل القرابة والرحم فعن سليمان بن عامر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة**» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من قطيعة الرحم وبين أن وصلها سبب في وصل الإنسان لكل خير وقطعها سبب لقطعه عنه فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى، قال: فذلك لك**» ثم قال رسول الله ﷺ أقروا إن شئتم ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك**

الذين لعنهم الله **فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾[١]. وفي رواية للبخاري – «قال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته» وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت قال رسول الله ﷺ «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» متفق عليه.

وأشد من هذا وأعظم أن الرسول ﷺ قد توعد من قطع رحمه بالحرمان من الجنة، فعن أبي محمد جبير بن مطعم – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» قال سفيان في روايته يعني (رحم) متفق عليه.

فما أجمل هذا الدين الذي يحث على الترابط والتكاتف والتواصل ويحذر من التقاطع والتدابر. وحري بنا أن نحرص على هدي المصطفى ﷺ وأن نعض على سنته بالنواجذ ونحافظ على صلة الأرحام ونحث إخواننا المسلمين على ذلك ونحذر القطيعة ففيها ما ذكرنا من الوعيد الشديد. نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

---

(١) سورة محمد الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

حقوق ولاة الأمر

من الأمور المسلمة عقلاً أن الجماعة لا ينضبط أمرها إلا بقيادة تسوسها وتنير لها الطريق وتحفظ حقوقها وتدافع عن حرماتها. فلابد للأمة إذاً من قائد يقودها للحق ويحمل همها. ولا ريب أن لهذا الأمر أثره البالغ ودوره الفاعل في الحفاظ على مصالح الأمة، ولذلك فقد عُنيت الشريعة الإسلامية بهذا الأمر عناية فائقة وأكدت على حقوق ولاة الأمر وأن طاعتهم أمر واجب لا يسع المرء مخالفته في حدود ما شرع الله ولذلك يقول الله – تبارك وتعالى -:﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1]، وأولو الأمر كما قال علماء التفسير هم الحكام(الأمراء) والعلماء، ويقول عبادة بن الصامت – كما في الحديث الصحيح – :«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله ما لم نر كفراً بواحاً لنا فيه من الله برهان».

يقول الشيخ د/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية معلقاً على هذه الآية وهذا الحديث: وهذان الدليلان غيض من فيض، وقليل من كثير، من القواطع الرواسي الثوابت، والحجج والبراهين الدوامغ، التي امتلئت بها كتب السنة، وسطرها ورسمها السلف الصالح قولاً وعملاً ومنهجاً؛ فسلم معتقدهم، وأمن فكرهم، وها هو واحد من بقيتهم يقول: «لو أنني منعت من التدريس في المسجد، وخطبة الجمعة، والمحاضرات، ومن كل الأشياء التي

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

يقوم فيها غيري ولم يكن تركها معصية؛ لقلت: سمعاً وطاعة» فلله دره ما أعلمه وأحكمه!

ونظراً لأهمية السمع والطاعة لولاة الأمر وما يترتب عليه من بناء مجتمع قوي متماسك لحمته التعاون على البر والتقوى، وسداه المحبة والائتلاف بين الراعي والرعية، فإنه يجب إبراز ما لولاة الأمر من حق السمع والطاعة في المعروف عن طريق وسائل الإعلام المتنوعة، وعقد الندوات والمحاضرات العامة، وتأليف الكتب في هذا الخصوص، معتمدة على نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، والتحذير من التهاون في أداء حقهم وما يجب لهم، أو اغتيابهم وإثارة الشائعات حولهم، وما يترتب على ذلك من مفاسد دينية ودنيوية، والدعاء لهم سراً وجهراً[١].

ولاشك أن هناك مصالح عظيمة تتحقق بقيام الأمة بهذا الحق لعل من أبرزها:

١- أن تحفظ مصالح الأمة وتحفظ حقوقها ويقام شرع الله فيها وتطبق أحكامه فالناس إذا سمعوا واستجابوا سهل ذلك على الحاكم أمره وأعانوه على ما أنيط به من عمل.

٢- إن الطاعة سبب في زوال الفتن واستقرار الأمن واجتماع الكلمة ووحدة الصف وهذا أمر يطلبه الشارع دائماً **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**.

(١) نظرات تأصيلية، د. سليمان أبا الخيل ص١٤٥.

٣- وفي ذلك كله قوة للدولة، لدولة الإسلام وإبراز لهيبتها في وجوه أعدائها وجعلهم يحسبون لها ألف حساب.

٤- وفوق ذلك كله فإن الطاعة لولي الأمر هي استجابة لداعي الله – سبحانه وتعالى – الذي أمرنا بذلك بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ فطاعة ولي الأمر استجابة لداعي الله – عز وجل – وفي نفس الوقت استجابة لدعوة الرسول ﷺ وأمره بطاعة الأمير والسمع له وهذا كله لمصلحة الأمة المسلمة أجمع.

٥- وبالمقابل كم من الشرور والفتن تحصل بمخالفة ولي الأمر وكم أريق من الدماء. وكم حصل من الاعتداءات بسبب الاختلاف على الحكام وفي ذلك إضعاف لقوة الأمة وهوان لها لدى أعدائها فإن المستفيد الأوحد من مخالفة ولاة الأمر هم أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر.

ولذلك فإن طاعة ولاة الأمر تحقق مصلحة عظيمة للأمة وهي سبب من أسباب وحدتها وقوتها في وجه عدوها وهذا في حد ذاته من مقاصد الشريعة.

* * *

حق الأيتام

حثنا ديننا الإسلامي الحنيف على الإحسان إلى الضعفاء والعناية بهم وتقصي أحوالهم وتفقد شؤونهم ومد يد العون لهم بما نستطيع وكان قائدنا ﷺ مثلاً يقتدى به في الإحسان إلى الضعفاء والاهتمام بأمرهم صور ذلك بأقواله وأفعاله فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنهما – قال رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**» رواه البخاري مرسلاً ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلاً. كما روى أبو داود بإسناد جيد عن أبي الدرداء عويمر – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول«**ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم**». ومن هذا تدرك حرص الإسلام على رعاية هؤلاء الضعفاء تقديراً منه لحالهم.

ألا وإن من أحوج من يحتاج لذلك اليتيم، واليتيم مفرد جمعه أيتام ويتامى. واليتيم في الناس من قبل الأم وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال: درة يتيمة. هذا كله في نظر أهل اللغة.

وفي الاصطلاح الشرعي: اليتيم هو من فقد أباه وهو صغير دون سن الرشد فمن تعريف اليتيم ندرك ضعفه وحاجته إلى من يقوم بتدبير شئونه لذا عني الإسلام عناية فائقة بهذا اليتيم وحفظ له حقوقه وفرض لكل يتيم كافلاً يقوم على تربيته تربية إسلامية صادقة فيوجه سلوكه ويربي فيه حب الخير ويأخذ بيده إلى كل فضيلة ويحذره من الرذيلة.

وقد أمرنا الله سبحانه بالعناية باليتيم وجعل الإحسان إلى الأيتام مع الإحسان

إلى الوالدين وذي القربى وذلك في آية الحقوق العشرة وهي قول تعالى ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً**﴾[1].

كما رغبنا رسولنا ﷺ في كفالة الأيتام وحضنا على ذلك وبين أن كافل اليتيم بمنزلة قريبة منه ﷺ في الجنة، فعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما**» رواه البخاري.

وحيث أن كافل اليتيم قد يكون قريباً له كأن يكون أماً لذلك اليتيم أو عماً أو خالاً أو أخاً فيقدح في ذهنه أن أجره لقربه من ذلك اليتيم أقل ممن كفل يتيماً بعيداً عنه لذلك نبه ﷺ إلى أن الأجر حاصل لكل من كفل يتيماً سواء كان قريباً له أو بعيداً عنه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى. رواه مسلم.

والمال عصب الحياة لذلك أناط الشارع كافل اليتيم بتنمية ماله – إن كان له مال – وفق قواعد الشريعة فينمي رأس المال بالوسائل التي أجاز الشرع تنمية الأموال بواسطتها من بيع وإجارة وعقود مضاربات وينفق على هذا اليتيم من ريع هذا المال

---

(١) سورة النساء آية: ٣٦.

ويتولى كافل هذا اليتيم تدريبه على البيع والشراء واختباره في ذلك بما يتناسب وحاله فإذا أدرك الكافل أن مكفوله أصبح قادراً على تصريف أمواله بنفسه وليس بحاجة إلى توجيه أو إرشاد دفع إليه ماله كاملاً. قال تعالى ﴿**وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم...**﴾ الآية[(١)]

فإذا دفع كافل اليتيم لليتيم ماله أشهد على ذلك سداً لباب النزاع والاختلاف الذي قد يحصل – فيما بعد – لو لم يكن هناك إشهاد قال تعالى: ﴿**فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً**﴾.[(٢)]

وكما حثنا شرعنا على كفالة اليتيم ورغبنا في ذلك فقد حذرنا تحذيراً شديداً من التعدي على أموال اليتامى أو سلب حقوقهم وذكر ألوانا من الوعيد والتهديد لمن تجرأ على ذلك مستغلاً صغر سن اليتيم وجهله وعدم إدراكه لحقه فلقد صور البارئ جل جلاله أولئك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بصورة مخيفة مرعبة بتطاير شررها تورث الذعر والخوف لكل من تسول له نفسه التعدي على أموال اليتيم وحقوقه قال تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا**﴾[(٣)].

كما حذرنا سبحانه وتعالى أن تمتد يدنا إلى ما اليتيم إلا بما فيه صلاح لذلك

---

(١) سورة النساء آية: ٦.

(٢) سورة النساء آية: ٦.

(٣) سورة النساء آية: ١٠.

المال قال تعالى: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن...**﴾الآية[1] قال القرطبي – رحمه الله تعالى – في تفسيره لهذه الآية: ﴿**بالتي هي أحسن**﴾ أي: بما فيه صلاحه وتثميره وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه. أ هـ

هكذا رأيت تحذير الله سبحانه وتعالى وإنذاره للذين يتمادون في أكل أموال اليتامى ناسين أو متناسين العقوبة الآخروية الرادعة.

ولقد اعتبر الرسول ﷺ أكل ما اليتيم ظلما إحدى الموبقات التي هي المهلكات وإنما سميت بذلك لأنها تهلك صاحبها في الدنيا لما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة لما يترتب عليها من العذاب، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال:«**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» متفق عليه.

كما حذر الرسول ﷺ تحذيراً من أخذ حقوق الأيتام وأنذر كل من تسول له نفسه فعل ذلك إن نفعت النذر، فعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي – رضي الله عنه – قال قال النبي ﷺ «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد... ومعنى أحرج: ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً.

فحري بالمسلم: الحرص على ملاطفة اليتامى وحفظ حقوقهم والقيام بما

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٢.

يصلح حالهم وليتنبه أولئك الذين استرعاهم الله على أموال اليتامى من العبث بأموالهم أو اختلاس شيء منها مستغلين صغر سنهم وجهلهم بما لهم وما عليهم وليعلموا أن الله رقيب مطلع على تصرفاتهم – وإن أخفوها عن الناس – وسوف يجازيهم الجزاء الأوفى.

وجدير بنا أن نتسابق في مد يد العون لهذا اليتيم وتخفيف آلامه وأحزانه والوقوف معه في السراء والضراء طلباً للثواب من الله ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾.

❋ ٨ ❋

حق الجـار

إن الإسلام – شريعة الله التي ارتضاها لعباده – دين يربي أبناءه على أداء الحقوق لأهلها ويشجعهم على ذلك ويجزل لهم الأجر والمثوبة ويحذرهم أشد التحذير من الإخلال بهذه الحقوق أو خرم شيء منها. ألا وأن من أبرز هذه الحقوق التي عني الإسلام بها عناية فائقة: حقوق الجار. وبادئ ذي بدء نعرف من هو الجار. وما حدوده وما أنواع الجيران ثم نتعرف بعد ذلك على حقوق الجار فنقول والله المستعان:

الجار هو الشخص المجاور لك في دارك ومسكنك أو مزرعتك ونحو ذلك، وقد تعددت آراء أهل العلم في تحديد الجار، فقد جاء عن علي – رضي الله عنه – أنه قال (من سمع النداء فهو جار) وقال بعض أهل العلم: (من صلى معك الصبح في المسجد فهو جار). وروي عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: (حد الجوار أربعون داراً من كل جانب). وقال الحسن البصري – رضي الله عنه – عندما سُئل عن الجار: (أربعين داراً أمامه وأربعين داراً خلفه وأربعين داراً يمينه وأربعين داراً عن شماله).

والجيران تتنوع مراتبهم وعلى ضوء ذلك تختلف حقوقهم فهناك الجار الكافر وهناك الجار المسلم البعيد وهناك الجار المسلم القريب. فأما الجار الكافر فله حق واحد وهو حق الجوار فقط وأما الجار المسلم الذي ليس ذا رحم فله حقان (حق الجوار وحق الإسلام). أما الجار المسلم القريب فله ثلاثة حقوق (حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة). وهناك نوع رابع وهو الجار القريب الكافر – كمن أسلم

وله جيران أقارب لا يزالون كفاراً – فلجيرانه الأقارب الكفار حقان (حق الجوار وحق القرابة).

وقد عني الإسلام بالجار عناية فائقة فجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحث على العناية به وكف الأذى عنه فمن ذلك قول الحق جل جلاله ﴿**وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل...**﴾ الآية. فقد جعل سبحانه وتعالى حق الجار ضمن الحقوق العشرة التي حث كل مسلم عليها وألزمه بها. فكما طالبنا بالإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى كذلك طالبنا بالإحسان إلى الجار. قال الأمام القرطبي – رحمه الله تعالى – معلقاً على هذه الآية: (الإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه...) أه. وقد حث المصطفى ﷺ على العناية بالجار، فعن أبي شريح الخزاعي – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**». بل إن المصطفى ﷺ أخبر أن أمين الله على وحيه – جبريل عليه السلام – أكثر من الوصية بالجار حتى ظن المصطفى ﷺ أنه سيكون الجار من الورثة نظراً لشدة تأكيد جبريل على حقوقه والعناية به، فعن ابن عمر وعائشة – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال«**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» متفق عليه. ومن هنا ندرك عظم حقوق الجار وخطر التفريط أو التهاون بها.

ألا وأن من أبرز حقوق الجار على جاره الإحسان إليه ومن مضان الإحسان ما يلي:

أولاً: حسن المعاشرة لهذا الجار من طيب المحادثة وطلاقة الوجه والابتسامة في وجهه وإدخال السرور إلى قلبه.

ثانياً: إكرام هذا الجار الإكرام اللائق به.

ثالثاً: وحيث أن الهدية مما يبعث على المحبة ويذهب سخيمة الصدر لذلك فإن من الإحسان إلى الجار بذل الهدية له ولو كانت يسيرة ولاسيما بين النساء إذ أن المرآة مع جارتها قد يحصل بينهما جفوة بسبب اختلاف أولادهن مع بعض ونحو ذلك فالهدية مما يذهب ما عساه أن يقع في القلب لذلك قال ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة – رضي الله عنه – «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» متفق عليه. وفرسن الشاة: حافر الشاة.

رابعاً: والجار أقرب الناس لجاره لذلك كثيراً ما يسمع أسراره وما يدور في بيته من نقاشات لذا فإن الإسلام يحرم عليه التصنت على جاره ليسمع أسراره كما يوجب عليه الإسلام أن يكتم كل ما يسمع من جيرانه ولا يجوز له إفشاء أسرارهم أو البوح بها.

خامساً: كما ينبغي أن يحافظ المرء على أولاد جيرانه وأموالهم لاسيما في غيبة الجار فخير الجيران خيرهم لجاره، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال قال رسول الله ﷺ «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وسادس هذه الأمور: إذا اشتريت لبيتك طعاماً وتعلم أن جارك ليس عنده من ذلك شيء فيحسن بك أن تعطيه منه، فعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال قال

رسول الله ﷺ «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**» رواه مسلم.

سابعاً: وعلى الجار ألا يمنع جاره من الاستفادة من جدار داره إن احتاج لذلك، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره**» متفق عليه.

ثامناً: ألا وأن من أوجب الإحسان إلى الجار كف الأذى عنه فلقد حذر المصطفى ﷺ من أذية الجار وبين أن ترك أذية الجار دليل الإيمان، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**» الحديث متفق عليه. بل إنه ﷺ قد نفى الإيمان أو تمامه عمن آذى جاره وكرر ذلك ثلاثاً، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله ﷺ «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**» متفق عليه. بل هناك ما هو أشد وأبلغ من الوعيد لمن أذى جاره فقد أخبر ﷺ – أنه لن يدخل الجنة من عم جاره بشره وأذيته – ففي رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**». والبوائق: الغوائل والشرور.

وتتعدد أذية الجار وتتنوع كبراً وصغراً بما لا يتسع المقام بذكره فمن ذلك إيقافك لسيارتك أمام باب جارك بحيث تضايقه إذا أراد الدخول إلى منزله أو الخروج منه ويستحي أن يحدثك في ذلك. ومن أنواع الأذى: رمي النفايات – أكرمكم الله – أما باب الجار، كذلك رفع صوت المذياع ونحوه بحيث يزعج الجار ويقلق راحته، وكذا إزعاجه بأذية أولادك لأولاده سواء بالاعتداء عليهم أو بإثارة مشاعرهم وذلك بسبب شراءك لبعض الهدايا واللعب لأولادك فيغتاظ أولاده من

ذلك وهو عاجز أن يشتري لأولاده مثلك فتوقعه في حرج مع أولاده فالأطفال لا يدركون شيئاً أسمه الفقر وإنما يريدون مثل ما رأوا مع أبناء جنسهم، ومن أمثلة الأذى ما يعمد إليه البعض من الطرق على الجدران أو الأسقف لتركيب بعض مستلزمات المنزل فيحدث لذلك أصواتاً وضوضاء – لاسيما وقت الراحة كوقت الظهيرة وآخر الليل – فينزعج الجار لهذه الأصوات ويتأذى بذلك وربما دفعه ذلك إلى الوقيعة فيه أو في عرضه فعلى المسلم أن يتقي الله في جيرانه وأن يحفظ لهم حقوقهم ولا يغمط من ذلك شيئاً وأن يراعي وصية المصطفى ﷺ بذلك.

* * *

الحقوق العشرة

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾[١].

لقد ألزم عباده في هذه الآية الكريمة بعشرة حقوق منها ما هو خاص به سبحانه وتعالى ومنها ما يختص بخلقه، ومن هنا سميت هذه الآية بآية الحقوق العشرة وقد أجمع العلماء – رحمهم الله تعلى – على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ليس منها شيء منسوخ[٢].

وسنعرض في السطور الآتية إلى هذه الحقوق العشرة فنقول مستعينين بالله تعالى:

فأول هذه الحقوق: الأمر بعبادته سبحانه وإخلاص هذه العبادة له فأمر الله عباده بالتذلل له والإخلاص في العبادة له فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره[٣] قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[٤]. وقال سبحانه في موضع أخر ﴿**ألا لله**

---

(١) سورة النساء آية: ٣٦.

(٢) تفسير القرطبي ج٥ ص ١٨٠.

(٣) تفسير القرطبي ج٥، ص ١٨٠

(٤) سورة الكهف ـ آخر آية.

الدين الخالص﴾ فلابد من إخلاص العبادة لله تعالى. لذلك جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» فهو سبحانه في غنى عن عبادة العبد وإنما العبد هو المحتاج إليه فعليه أن يخلص العبادة لربه وأن تكون وفق ما شرع سبحانه وتعالى.

وثان هذه الحقوق: الإحسان إلى الوالدين. فالله يأمر الولد أن يبر والديه ويحسن إليهما نظير ما بذلاه في تربيته من جهد وما قدماه له من تضحيات فأحق الناس بالإحسان بعد الله سبحانه وتعالى والوالدان ولذلك قرن الله شكره بشكر الوالدين فقال تعالى ﴿**أن أشكر لي ولوالديك**﴾ وعن أبن مسعود - رضي الله عنه - قال «سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» متفق عليه. وبالمقابل حذر الرسول ﷺ من عقوق الوالدين واعتبره من الكبائر فعن أبي بكرة نفيع بن الحارث - رضي الله عنه - قال«قال رسول الله ﷺ **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً. قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت**» متفق عليه. والأحاديث في الحث على بر الوالدين والتحذير من عقوقهما كثيرة جداً ولكن حسبنا ما ذكرناه.

وثالث هذه الحقوق: صلة الأقارب والأرحام فبعد أن حث الله على بر الوالدين، أمر بصلة الأرحام لما بينهما من ارتباط ولذلك جعل المصطفى ﷺ صلة الأرحام والأقارب علامة للإيمان. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ

قال«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» متفق عليه.

ويقول الله سبحانه وتعالى في معرض التحذير من العقوق وقطيعة الرحم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[(١)].

ورابع هذه الحقوق: الإحسان إلى اليتامى برعاية شؤونهم وحفظ حقوقهم والإصلاح لهم واليتيم هو من فقد أباه وهو صغير دون سن البلوغ.

ومن حرص الإسلام على رعاية الأيتام وحثه على كفالتهم تلحظ شمولية التكافل الاجتماعي الإسلامي حيث خص الضعفاء بالرعاية أكثر من غيرهم وأجزل الثواب لمن يرعاهم بل وجعلهم بمنزلة قريبة من الرسول ﷺ في الجنة مصداق هذا ما رواه سهل بن سعد – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما**» رواه البخاري. كما توعد سبحانه وتعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ويغمطون حقوقهم استغلالاً لضعفهم توعدهم بما تقشعر منه الجلود وترتعد الفرائص قال تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً**﴾[(٢)].

---

(١) سورة محمد آية: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) سورة النساء آية: ١٠.

وخامسها: الإحسان إلى الفقراء والمساكين بالتلطف والتودد لهم والأخذ بأيديهم ومساعدتهم في قضاء حوائجهم ومد يد العون لهم فهم كما وصفهم الرسول ﷺ أهل الجنة، فعن حارثة أبن وهب – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول«**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**» متفق عليه. العتل: الغليظ الجافي، والجواظ: الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته.

أما سادس هذه الحقوق وسابعها: فيتمثل في قوله تعالى ﴿**والجار ذي القربى والجار الجنب**﴾ وقد فسر الجار ذي القربى بالقريب. والجار الجنب بالغريب. وقيل: الجار ذي القربى: المسلم. والجار الجنب: اليهودي والنصراني[1]. والإحسان: قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه. وهذا شامل للجار المسلم والكافر على الصحيح[2]. وقد حث الرسول ﷺ على العناية بالجار وأوصى الأمة به خيراً، فعن ابن عمر وعائشة – رضي الله عنهما – قالا قال رسول الله ﷺ «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» متفق عليه. بل قد جعل ﷺ خير الجيران عند الله خيرهم لجاره، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال قال رسول الله ﷺ «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**» رواه الترمذي وقال حديث حسن. وحذر ﷺ من أذية الجار ونفى تمام الإيمان عن ذلك المؤذي، فعن أبي هريرة

---

(١) تفسير القرطبي ج٥ ص ١٨٣.

(٢) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨٤.

– رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**» متفق عليه. والبوائق: الغوائل والشرور.

وأعلم أن الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم القريب فله حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان: وهو المسلم غير ذي القرابة فله حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد وهو الجار الكافر فله حق الجوار.

وثامن هذه الحقوق: الإحسان إلى الرفيق في السفر وهو المراد بقوله تعالى ﴿**والصاحب بالجنب**﴾[1] وإكرام الرفقة في السفر شيمة من شيم العرب وخصلة من خصال الإسلام. وقد أثر عن ربيعة أبن أبي عبد الرحمن قوله: للسفر مروءة وللحضر مروءة فأما المروءة في السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على الأصحاب وكثرة المزاح في غير مساخط الله، وأما المروءة في الحضر فالإدمان إلى المساجد وتلاوة القرآن وكثرة الأخوان في الله عز وجل[2].

ولبعض بني أسد وقيل أنها لحاتم الطائي:

إذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي ... له مركب فضلاً فلا حملت رجلي

ولم يك من زادي له شطر مزودي ... فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا فضل

شريكان فيما نحن فيه وقد أرى ... علي له فضلاً بما نال من فضلي

---

(١) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨٨.

(٢) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨٩.

وتاسع هذه الحقوق: الإحسان إلى ابن السبيل وهو الذي يجتاز بك ماراً والسبيل الطريق فنسب المسافر إليه لمروره عليه ولزومه أياه[1].

ويتصور الإحسان إلى ابن السبيل بإعطائه ما يحتاجه من قوت أو فرش أو نفقة وتهيئة السكن له إذا لم يكن هناك سكن خاص بالمسافرين أو لم تكن معه نفقة السكن، كذلك من الإحسان للمسافر إرشاده إلى الطريق الأمثل وبيان ما في طريقة من مخاطر ليتلافاها وهذا شأن المسلم مع أخيه دائماً ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كبراُ فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

وعاشر هذه الحقوق: الإحسان إلى المملوك بأن يطعمه سيده مما يطعم ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما لا يطيق من الأعمال فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال:«**هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فأن كلفتموهم فأعينوهم**» رواه مسلم. وقد ختم الله هذه الآية العظيمة بقوله ﴿**إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً**﴾ فنفى سبحانه محبته ورضاه عمن هذه صفته وفي هذا ضرب من الوعيد. والمختال: ذو الخيلاء أي الكبر؛ والفخور الذي يعدد مناقبه كبراً وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا لأنهما تحملان صاحبهما على

---

(١) تفسير القرطبي ج٥ ص ١٨٩.

الأنفة من القريب الفقير والجار الفقير وغيرهم ممن ذكر في الآية فيضيع أمر الله بالإحسان إليهم[١].

نعم لقد ركزت هذه الآية على تأسيس عقيدة التوحيد ثم حفظت لذوي الفضل على الولد وهما والديه حقوقهما كذلك أقاربه ثم حضت على إحسان الجوار للجار وطيب التعامل مع رفقة السفر بعد ذلك حثت المسلمين على العناية بضعفائهم من المساكين والأيتام والمملوكين. هذا هو الإسلام وهذه هي تشريعاته العادلة التي تكفل لذوي الحقوق حقوقهم وتأصل هذه الحقوق في نفس الإنسان لتكون مبدأ يسير عليه برغبة منه دونما دافع من أحد.

* * *

(١) تفسير القرطبي ج٥ ص١٩٢ بتصرف.

في بيت الزوجية

* السعادة الزوجية.

* توجيهات أسرية.

السعادة الزوجية

إن من نعم الله التي من بها على عباده أن خلق لهم من أنفسهم أزواجاً ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة. قال تعالى ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ تلك النعمة العظيمة التي لا يعرف قدرها إلا من حرم منها ولكن هذه الحياة الزوجية قد يشوبها شيء من الفتور ويحصل فيها شيء من المنغصات التي قد تكدر صفوها ولا شك أن كل زوج حريص على أن تكون حياته الزوجية حياة سعادة وهناء فكيف يحافظ الزوجين على بيت الزوجية سعيداً آمناً من التفكك والمنازعات ترفرف عليه الرحمة وتحيطه المودة فنقول والله المستعان:

إن الشارع حكيم جعل لكل شيء قدراً وقرر واجبات وحقوق فإذا قام كل مسلم بما وجب عليه شرعاً تحقق له كل خير في الدنيا والآخرة.. ولذا فإن هناك توجيهات ينبغي لكل من الزوجين الأخذ بها لتكون حياتهما سعيدة ويعيشا عيشة رغيدة في ظل تعاليم شريعتنا السمحة.

وهنا أقول: إن أول أمر ينبغي أن يتنبه له كل زوج وزوجة لتبقى حياتهما ترفرف عليها السعادة: تقوى الله عز وجل ففي تقوى الله سعادة الدنيا والآخرة وهي وصية الله للأولين والآخرين وتقوى الله خير الزاد ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ وتقوى الله فيها سعة الرزق وفيها الفرج من كل هم وغم وهي سبب لرزق الإنسان من حيث لا يحتسب يقول جل وعلا ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ وقد أحسن الشاعر الذي يقول:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

فمهما كثر مال المرء وزاد جاهه ومنزلته إذا عرى ذلك من التقوى فمن له بالسعادة.

ثانياً: على المرء رجلاً كان أو امرأة لزوم ذكر الله عز وجل فبذكر الله تحصل طمأنينة القلوب والطمأنينة عنوان السعادة يقول جل وعلا ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ وذكر الله سبب لذكر الله للعبد قال تعالى ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ وإذا ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه وإذا ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خيراً منهم كما جاء بذلك الحديث عنه ﷺ وبذكر الله تحيا القلوب ويزول عنها الران والذنوب وتقترب من علام الغيوب». يقول سابق البربري – رحمه الله-:

والذكر فيه حياة للقلوب كما ... تحيا البلاد إذا ما جاءها المطر

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن في ذكره سبحانه سعادة الدنيا والآخرة وأن الإعراض عن ذكره سبب في الضيق والحرج في الدنيا وأن يحشر يوم القيامة أعمى قال تعالى ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾.

ثالثاً: أن يعرف كل زوج ما له وما عليه فإن الشارع الحكيم قد بين أن على الزوج حقوقاً لزوجته وله واجبات على زوجته وعلى الزوجة حقوقاً لزوجها ولها عليه واجبات فمن الحقوق التي ينبغي أن يقوم بها الزوج لزوجته:

أولاً: أن ينفق عليها النفقة الكافية لها المناسبة لأمثالها وحسب عسر الرجل ويسره قال تعالى ﴿**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾ فعلى الزوج أن يعطي زوجته من النفقة ما يكفي حاجتها مما يعطى لأمثالها مع مراعاة مقتضيات العصر فإن بعض الأزواج عندما يعطي زوجته مبلغاً من المال مثلاً يضع في ذهنه حال الناس قبيل ثلاثين أو أربعين سنة مثلاً فالنساء في السابق لهن حاجات وفي اللاحق لهن حاجات وحاجيات النساء في هذا الزمان أكثر بكثير مما هي عليه في السابق فتحتاج المرأة لذلك لتصير مثل قريباتها ومثيلاتها في السن. فهي لا تريد أن تكون أقل من مثيلاتها من النساء بل تحب في الغالب أن تكون أحسن منهن ومحل فخر ومضرب المثل منهن هذا في الغالب فإذا رأت زوجها يقتر عليها وهو مستطيع فإن الزوجة ستغضب وتسأله لماذا أنا أقل من فلانة وفلانة، ولماذا فلانة يشتري لها زوجها ما تريد ويدك معي مغلولة وهكذا ومن هنا تبدأ المشاكل وتزول السعادة ويحل محلها التعب والغضب والشحناء والتأفف. نعم ليس كل النساء تحمل هذه الصفات وإن منهن من تتنازل عن كثير من الأمور طلباً لسعادتها وإسعاد زوجها ولكن ليس كلهن ينظر لذلك وأحياناً المرأة تكون مقتنعة إلى حد ولكن يأتيها من يثيرها ويؤلبها على زوجها، وهنا تكون الزوجة مهيئة نفسياً لإثارة أي مشكلة وحينئذ ينبغي على الزوج أن يعطيها من النفقة ما يكفيها ويسد حاجتها بلا إفراط ولا تفريط يقول تعالى ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محصورا**﴾.

ثانياً: ومثل ذلك الكسوة وذلك بأن يكسوها بمثل ما تكتسي به مثيلاتها

وقريباتها فللشتاء ما يناسبه من الكسوة وللصيف ما يناسبه من ذلك وللأعياد والمناسبات ما يتناسب معها دون سرف أو مخيلة.

ثالثاً: وكذلك السكنى بأن يهيئ لها سكناً مناسباً فإن من الناس من وسع الله عليه ومع ذلك يضيق على نفسه وزوجته فيصر على سكن زوجته مع أهله وإخوانه مع أنه قادر على توفير سكن لها وليس هناك حاجة ماسة لبقائه داخل ذلك المنزل المتخم بأفراد الأسرة فالمرأة لا تقابل زوجها إلا في غرفة نومها وفي الليل غالباً أما سائر اليوم فهي متحجبة فهذا أخ للزوج وذاك عم وهكذا. فتحس المرأة بشيء من الضيق ولا يخلو لها زوجها إلا في ساعات قد يكون متعباً لا يستطيع محادثتها ومؤانستها ثم إن سكنى الزوجة مع أهل الزوج أحياناً يكون مدعاة للمشاكل والنزاعات مع النساء الأخريات خاصة إذا رزقت بأولاد وأخذ الأولاد يحتك بعضهم ببعض وهكذا وأنا أؤكد هنا إذا لم تدع الحاجة لذلك وكانت ظروف الزوج المالية تسمح بذلك ولم يكن لبقاء الزوج في بيت والديه ضرورة فإن استقلاله بمسكنه مما يسعده ويرح زوجته ويقضي على كثير من الإشكالات.

رابعاً: إن على الزوجة أن تعرف ما يجب عليها تجاه زوجها واحترامه والتزين له وإدخال السرور والبهجة لقلبه فإن الزوج في الغالب يأتي بيته متعباً من أعباء العمل يبحث عن الراحة والاستقرار في بيته فعلى المرأة أن تحسن استقباله وأن تعمل على ما ينقض تعبه ويزيل همومه فتستقبله استقبال المشتاق المحب ويعلو محياها الفرح والسرور بقدومه وهذه أمور يسيرة مقدورة للمرأة وتترك في نفس زوجها من الأثر الحسن الشيء الكثير الكثير فإذا دخل ووجد طعامه مهيأ وزوجته تقابله بابتسامة ثم ذهب ليرتاح وجد زوجته تعمل على راحته غمرته السعادة وصار وهو في عمله

يترقب العودة لهذا المنزل لأنه لا يسمع فيه إلا الكلام الجميل ولا يرى إلا ما يسعد ويفرح ولذلك كان من وصايا إحدى النساء لابنتها عند زواجها أن تعمل جاهدة ألا يرى زوجها منها إلا كل مليح ولا يشم منها إلا أطيب ريح وأوصت امرأة أخرى ابنتها أن تراعي طعام زوجها ومنامه. ولو رأيت حال بعض النساء مع أزواجهن لما استغربت كثرة المشاكل بينهما وربما حصل الطلاق تبعاً لذلك فتراها تستقبل زوجها بالسخب والسخط وبثياب المطبخ التي يفوح منها زفر الطعام ويزداد صراخها وصراخ أولادها وزوجها منهك القوى لا يستطيع تحمل كل ذلك فلا عليه إذاً أن يغضب فهي لم تبحث عن إسعاده بقدر ما اتبعت نفسها هواها تقول ما تقول وتفعل ما تريد فعلى من أراد السعادة أن يطالب أسبابها ويسعى حثيثاً لذلك رجلاً كان أو امرأة.

خامساً: إن على الزوج أن يعرف أنه لم يسلم أي بيت من هذه المشكلات التي تعتري حياته الزوجية فمستقل من ذلك ومستكثر حتى بيت المصطفى ﷺ فقد حصل له ما حصل من منغصات في بيته رغم عدالته ﷺ وحب نسائه له فمحبته ﷺ عبادة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل ومع ذلك – كما أسلفت – حصلت له مضايقات مع زوجاته بسبب المطالبة بشيء من النفقة التي لا يستطيعها فهو ﷺ أكرم الخلق وأجود الناس ولكن قلة ذات اليد منعته من تحقيق رغبتهن فلما ضايقته ﷺ اعتزلهن شهراً ولنقف مع هذه الآيات العظيمة التي تحدثت عما دار بين النبي ﷺ وأزواجه ونستلهم منها العبر يقول تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾ فإذا كان بيت

النبوة لم يسلم من المشكلات رغم أنموذجية زوجات الرسول ﷺ وحبهن لـه وتميزه ﷺ عن غيره في عدله وخيريته لأهله على سائر الناس«خيركم خيركـم لأهلـه وأنـا خيركم لأهلي» ومع ذلك لم يسلم بيته الكريم من مشكلات فلا عليها أن تحصل إذا عند مثلي ومثلك مع تقصيرنا وما يصدر منا من ذنوب فـإن المرء قـد تكـون ذنوبـه سبباً لما يحصل له من مشكلات في بيته وغيره يقول تعالى ﴿**وما أصابكم مـن مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عـن كـثير**﴾ يقـول أحـد السـلف والله إنـي لأجـد أثـر معصيتي في تغير معاملة زوجتي وفي سـلوك دابـتي فعلـى المـرء أن يصـبر ويحتسـب الأجر فيما يحصل له من مشكلات ولا يجعل هذه المشكلات همه الـذي يفكـر فيـه صباح مساء بل بضع هذه المشكلات تحت قدميه ويمسحها مـن تفكـيره ولا يلتفـت إليها فإنما هي زوابع عارضة إن لم تعرهـا اهتمامـك زالـت في لحظـات وأن كبرتهـا وأخذت تلت وتعجن وتتبادل مع زوجتك التهم والمد والجـزر: زادت وتحولـت إلى قلاقل ومصائب عظام فتعامل مع المشكلة على أنها أمر يسـير وغـض الطـرف فـإن النساء خلقن من ضلع أعوج وإن أعـوج مـا في الضـلع أعـلاه فـإن ذهبـت تقيمهـا كسرتها وكسرها طلاقها وأن استمتعت بها استمتعت بهـا وبهـا عـوج وأذكـر قـول الشاعر:

لـيس الغـبي بسـيد في قومـه لكـن سـيد قومـه المتغابيـا

سادساً:الصبر وهو أمر مرغب فيه في كل الأحوال ومطلب شرعي في استقرار الحياة الزوجية وذلك أن المرء في هذه الحياة قد يأخذ أسلوب المجاملة مع زميل أو صديق إذ مكثه معه مدة قصيرة وتنتهي ولكن الحياة الزوجية أمر يراد لها الاستمرار

وتكتنفها ظروف عدة ولذلك فلابد أن يروض المرء نفسه على الصبر والله سبحانه أمرنا بالاستعانة بالصبر والصلاة في كل أمورنا فقال تعالى ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ وقال تعالى ﴿**وأصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ **وقال** ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا**﴾ والحياة الزوجية لا تخلوا – كما أسلفت – من منغصات إما من زوجة أو ابن أو بنت أو غير ذلك فلابد أن يقابل ذلك بالصبر ومع الصبر الظفر والصبر مفتاح الفرج وقديماً قيل: من صبر ظفر.

سابعاً: على المرء زوجاً أو زوجة أن لا يجعل جل همه وتفكيره النظر في عيوب الآخر بل عليه أن ينظر إلى الجوانب الإيجابية واللمسات الجميلة يتذكرها دائماً ولن يعدم أن يجد أحد الزوجين لصاحبه من خلال حميدة جاء رجل إلى عمر فلما دنا من منزل عمر سمع صوت زوجة عمر وقد ارتفع تجادل عمر وتلومه فرجع الرجل فرآه عمر – رضي الله عنه – فدعاه وسأله لماذا رجعت فقال يا أمير المؤمنين أتيت شاكياً لزوجتي فلما سمعت صوت زوجتك قد ارتفع رجعت فأخبره عمر – رضي الله عنه – ببعض شمائل زوجته من غسل ثيابه وطبخ طعامه ورعاية أولاده وقضاء حاجته فلا عليه إذاً أن يتجاوز عن بعض أخطائها فعمر – رضي الله عنه – هنا نظر إلى الجانب الإيجابي ولم يركز على السلبيات وهذا منهج في التعامل الأسري فريد من نوعه، فلو أن كل زوج أو زوجة نظر للإيجابيات وعظمها في نفسه وغض الطرف عن بعض السلبيات – التي غالباً ما يعظمها الشيطان – وخفف المحاسبة عن كل صغيرة وكبيرة لعاشا في سعادة تامة.

ثامناً: الهدية وما أدراك ما الهدية فهي التي تذهب سخيمة القلوب والرسول ﷺ أمرنا بها فقال: «**تهادوا تحابوا**» فما أجمل أن يقدم الزوج لزوجته بين الحين

والآخر هدية ولو كانت قليلة أو رخيصة الـثمن فهـي بقيمتهـا وأثرهـا المعنـوي لا الحسي وما أجمل أن تفعلها الزوجة إن أمكنها ذلك فهي أشياء يسـيرة ولكـن أثرهـا كبير تزرع السعادة والمودة وتصفي النفوس.

تاسعاً: إن مما ينبغي التنبه له وهو من الأمور المهمة جداً وله أثره في استقرار الحياة الزوجية ويثمر السعادة أن يتولى الزوجان بأنفسهم حل ما يدور بينهما من مشكلات دون أن يتدخل في ذلك أحد أيا كان هذا الأحد سواء كان من أهل الزوجة أو من أهل الزوج بل ينبغي أن يتم حل مشاكل هذه الأسرة داخل بيتها الصغير دون أن يتدخل الآخرون في ذلك فبكلمة طيبة من الزوج يزول ما في نفس الزوجة وتعود الأمور لمجاريها وبابتسامة من الزوجة تصفوا نفس الزوج ويعود الود وتسود المودة والرحمة وترفرف السعادة. أما إذا دخلت أطراف أخرى فإن المشكلة ستكون أكثر تعقيداً وأبعد عن الحل وكل سيقول الحق قولي وغيري مخطئ.

عاشراً: هناك مسألة تغيب عن أذهان الكثيرين مـن الرجـال والنسـاء ألا وهـي مسألة احتساب الأجر عند الله عز وجل لمن صبر على الأذى فكم من امـرأة أذاهـا زوجها فصبرت على الأذى ابتغاء ما عند الله فرزقها الله في الـدنيا سـعة في الصـدر وقوة في التحمل وما تنتظر عند الله من الأجر بأذن الله أكـبر وأعظـم. ومثـل ذلـك الرجل الذي يصبر على أذى زوجته طلباً لما عند الله في العاجل والأجل.

ولعلي في ختام عرض هذه الوصايا أذكر كلمات عظيمة لأمـير المـؤمنين علـي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عندما سُئل عن التقوى فقـال: هـي الخـوف مـن الجليل والإيمان بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليـوم الرحيـل. فلـو طبـق كـل واحد منا هذه الكلمات الأربع على نفسه وتسائل هل حققها وعمل لذلك بصـدق

وواقعية لأسف على تفريطه أسفاً شديداً، والله إن المؤمن الذي يرزقه الله فقه هـذه الكلمات التي فسر بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فسر بهـا التقوى ثم يطبقها بحق فلن يجد الشقاء بـل سيكون مـن أسعد النـاس لأن نظرتـه تسامت عن الدنيا وتطلعت نفسـه للآخـرة وهـذا والله الفـوز الـذي لا يماثلـه فـوز والسعادة التي لا تجاريها سعادة.

* * *

توجيهات أسرية

١ـ همسات لك أيها الزوج.

٢ـ كثرة محاسبة أحد الزوجين للأخر.

٣ـ غفلة الأباء عن الأبناء.

٤ـ الأطفال وتفريط بعض الأمهات.

٥ـ المعاكسات الهاتفية.

همسات لك أيها الزوج

دعني أيها الزوج يا رب الأسرة أهمس في أذنك همسات سريعة أقول لك: إن الله عز وجل أكرمك بأن جعلك راعياً لهذه الأسرة وجعل بيدك الرعاية وأناط القوامة بك فعليك أن تسعى في إسعاد هذه الأسرة وإني أضع بين يديك الوصايا الآتية:

أولاً: ينبغي أن تقوم بما أوجب الله عليك من النفقة على هذه الأسرة حسب الاستطاعة ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾ فتأمن لزوجتك وأولادك السكن الذي يحصل لهم فيه الراحة والاستقرار مع تأمين ما يلزمهم من أكل وشرب وكسوة أسوة ببني جنسهم من أبناء عمهم وأبناء خالهم ونحو ذلك.

ثانياً: السماحة في التعامل فينبغي أن تكون في تعاملك مع أهلك سمحاً طلق الوجه بشوشاً لا مغضباً حنقاً ما لم يؤد الأمر إلى ارتكاب ذنب أو معصية لله تعالى فالبعض من الناس – هداهم الله – لا تراه إلا صاخباً مغضباً، لو عرف أن الشجار يباع لراح يشتريه فكيف لمثل هذا بالسعادة أنى له ذلك؟

ثالثاً: ثم أعلم أنه لا يخلو بيت من مشاكل قليلة كانت أو كثيرة ولكنها مادامت داخل محيط هذا البيت الصغير فمن السهل علاجها واحتواؤها ولذلك فالحذر الحذر من خروجها خارج هذا البيت فإذا دخل فيها الأهل سواء كانوا أهل الزوج أو أهل الزوجة فإن الأمور سوف تزداد تعقيداً ويكثر اللت والعجن فكل يحمل الثاني الخطأ ولا مجال للتعافي والتسامح بل كل سيطالب برد اعتباره ونحو ذلك فأهل المرأة يألبونها على زوجها، وأهل الزوج يحرضونه على زوجته وهكذا

حتى تصل الأمور إلى درجة لا تحمد عقباها.

رابعاً: ولكي تكون حياتك أيها الزوج سعيدة ابتعد أنت وزوجتك عن إثارة المشكلات أمام أولادكم مهما كانت يسيرة فإن الأولاد تهز شخصيتهم مثل هذه المشكلات وتؤثر على استقرارهم النفسي.

خامساً: كن حسن الخلق مع أهلك فإن خيار الناس أحسنهم أخلاقاً وخيرهم خيرهم لأهله يقول ﷺ «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهلـه» رواه الترمذي وحسنه.

سادساً: مناصحة الأهل عند التقصير في أي أمر من الأمور فلربما حصل التقصير بسبب الجهل وربما كان متعمداً ومع النصيحة يحصل الاعتذار وتصفو القلوب فلا تجعل العتاب شعارك فإنه يمل إذا كثر وإن كان صاحبه محقاً.

سابعاً: أحذر أشد الحذر من البخل فإن البخل منقبة سيئة لاسيما إذا كان في حق الأهل والأولاد فإن الرجل الكريم المفضال قد يغطي على بعض عيوبه بجوده وكرمه والكريم محبوب من الله ومن الناس والبخيل مبغض من الله ومن الناس، وأعلم أن ما تجود به على زوجتك إنما هو لك عند الله صدقة وأحرص على الهدية فإن الهدية تذهب السخيمة من القلوب وفي الحديث«تهادوا تحابوا» ولو كانت هذه الهدية يسيرة فإنما هي بأثرها المعنوي والاعتباري لا بقيمتها. وأنك لترى البعض – بكل أسف – جواد مع الناس مضيافاً ولكنه مع أهله جلموداً من الصخر أملساً.

ثامناً: أحذر أن تهين زوجتك أو تجرحها بكلام أمام الآخرين ولو كانوا أهلك أو أهلها مهما كان الخطأ فإنك إذا عاتبتها على خطئها بينك وبينها فإن ذلك يكون

أدعى لقبولها وأما عتابها أمام الناس فسوف يجعل العتاب عليها مضاعفاً ويترك في نفسها أثراً سيئاً وجرحاً لا يندمل.

تاسعاً: وكما أنك تطلب من زوجتك إكرام أهلك أمك وأبيك وأخواتك وإخوانك كذلك يجب عليك أن تكرم أهلها وأن تدمح زلاتهم لأجلها ولا تسيء إليهم بأي شكل من الأشكال وإياك ونقدهم أمامها فقد تجاملك وقلبها يتقطع حسرة وألماً من سوء ما تسمع منك واحفظها في غيبتها فأحذر أن تسبها وتذكر أخطاءها أمام أهلك إذ لا يسرها أن تسمع عنك ذلك.

عاشراً: أجعل لزوجتك وأولادك جلسة يومية وإن لم تستطع فأسبوعية جلسة إيمانية تدارس معهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتبين لهم بعض الأحكام ولو لم يكن ذلك إلا بالاستماع إلى تلاوة مباركة من كتاب الله أو محاضرة نافعة يعقبها تعليق منك على ذلك.

الحادي عشر: ينبغي أن تتجمل لزوجتك كما تحب أن تتجمل هي لك فقد أثر عن ابن عباس – رضي الله عنه – قوله : إني لأتجمل لها كما أرغب أن تتجمل لي.

الثاني عشر: وعليك أخي أن تعرف لزوجتك فضلها وجميلها فهي أم أولادك وراعية بيتك وتخدمك وتخدم أولادك وتضحي من أجلك بالشيء الكثير فأحذر أن تكون أعوراً لا ترى إلا المثالب وتغض طرفك عن المحاسن فإياك ثم إياك فكن منصفاً مقسطاً. يقول ﷺ «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» رواه مسلم. وقال ﷺ «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**» رواه مسلم.

وأخيراً أقول لك: ينبغي أن تغض الطرف عن بعض الأمور التي لا توقع في الإثم ولا تحاسب أهلك حسابك للناس وتغاضى عن بعض الأمور وتذكر قول الشاعر:

لــيس الغـــبي بســـيد في قومـــه   لكـــن ســـيد قومـــه المتغابيـــا

❊ ❊ ❊

كثرة محاسبة أحد الزوجين للآخر

شرع الله الزواج لما فيه من المصالح العظيمة والثمار اليانعة والتي يأتي في طليعتها حصول السكون والاستقرار النفسي للزوجين وفيه غض للبصر وإحصان للفرج كما أنه سبب في التناسل والتكاثر وبه يحفظ بقاء الجنس البشري.

وحفاظاً على استقرار الحياة الزوجية واستمرار التفاهم والمحبة بين الزوجين فقد أوضح الإسلام الحقوق الواجبة لكل من الزوجين على صاحبه وطالب كلاً منهما بالقيام بما وجب عليه منها وزجر عن الإخلال بذلك أو التقصير سداً لباب النزاع وقطعاً لدابر الخلاف الذي قد يقضي على استقرار الحياة الزوجية وربما كان سبباً في تمزيقها.

ونظراً لتواجد هذين الزوجين في منزل واحد وكثرة تلاقيهما وهذا مما يخفف الكلفة بينهما فقد يصدر من أحدهما – تصرف لا يعجب الآخر – فعليه أن يغض الطرف عن بعض التصرفات التي لا تؤدي إلى ارتكاب أمر محرم. إذ لو حاسب كل من الزوجين صاحبه على كل دقيق وجليل لما استقرت لهم حياة ولما طاب لهم عيش.

والواقع أن بعض الأشخاص لو طلب من زوجته إحضار كأس من الماء فتأخرت لسبب أو لآخر لأقام الدنيا ولم يقعدها ولأحال البيت جواً من العراك والنزاع من أجل كأس من الماء فأين إحسان العشرة الزوجية؟ وأين التراحم والتوادد؟ ولماذا لا نأخذ من المنهج النبوي دروساً نطبقها واقعاً وكيف كان ﷺ يتعامل مع أزواجه عندما يحصل من إحداهن هفوة فقد جاء في الأثر أن إحدى

زوجات الرسول ﷺ صنعت طعاماً وأرسلته إلى رسول الله ﷺ وكان في بيت عائشة – رضي الله عنها – فعندما دُخل بالطعام على رسول الله ﷺ قامت عائشة فضربت الإناء الذي فيه الطعام فأنكسر الإناء وسقط الطعام فضحك رسول الله ﷺ ثم قال أمكم غارت إناء بإناء وطعام بطعام، ولم يعنف ﷺ ولم يوبخ بل تقبل هذا التصرف برحابة صدر لعلمه ﷺ بحال النساء وضعفهن وشدة الغيرة لديهن. فهل نعي هذا الدرس النبوي ونحاول أن ننقله إلى حياتنا الواقعية لنسعد ونهنأ. آمل أن يتحقق ذلك.

* * *

غفلة الآباء عن الأبناء تثمر دماراً !!!

إن مسئولية الأب في رعاية أبنائه مسئولية عظيمة وواجبة كبير لا يمكن أن يسد مسده غيره أو يتحمل التقصير فيها سواه «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وبعض الآباء لقصر فهمه وضحالة تفكيره بتصور أن الرعاية تكمل بتوفير الطعام والشراب والسكن واللباس، فإذا وفر لأولاده هذه الأمور رأى أنه قد قام بما هو واجب عليه من حق الرعاية لهؤلاء الأولاد خير قيام، ومع أن تأمين هذه الحاجيات وتوفيرها أمر مطلوب شرعاً إلا أن الاقتصار عليها – كما أسلفت – قصور في الفهم إذ كيف يهتم ذلك الأب ببناء الجسم لهذا الولد ويغفل عن غذاء روحه وتوجيهه وتربيته، فكان على الأب أن يعنى بالجوانب الأخرى لولده فينشأه التنشأة الصالحة التي تقوم على التخلق بأخلاق المسلمين والتأدب بأدب الإسلام منذ نعومة أظفاره فيتابعه في صغره ويصحح له أخطاءه ويشكره على الخلق الجميل والتصرف الحسن ويوجهه إذا أخطأ وحاد عن الطريق ففي الصغر يسهل توجيه الولد إلى الطريق المستقيم أما إذا كبر فليس باستطاعة الأب غالباً توجيهه إن أعوج:

إن الغصـون إذا عـدلتها اعتـدلت ... ولا يلـين ولـو لينتـه الخشـبُ

والابن دائماً قدوته ومثله الأعلى والده:

وينشـأ ناشـئ الفتيـان منـا ... علـى مـا كـان عـوده أبـوه

فإن تابع الأب ابنه متابعة الصديق المشفق ووجهه التوجيه السليم أنقاد الابـن

إلى بر الأمان وإلا هلك وتخطفته أياد السوء. ولو نظرنا لحال أولئك المساكين الذين وقعوا في جحيم المخدرات وأصبحوا – بكل أسف – أسرى لهذه السموم وما حل بهم وبأسرهم من دمار وتمزق وتساءلنا عن سبب وقوعهم في ذلك الشرك المهلك لوجدنا أن لغفلة الآباء عن هؤلاء الأبناء النصيب الأكبر والسبب الجوهري الذي أدى بهم إلى هذه الحالة المأساوية. فإن الآباء حين غفلوا عن هؤلاء الأبناء وتشاغلوا عنهم إما بجمع الحطام أو بالأصدقاء والندماء. عند ذلك فقد الأبناء من يوجههم ويأخذ بأيديهم فتمكن منهم قرناء السوء واستغلوا – لخبثهم ومكرهم – غيبة الآباء وضعف الأبناء وعجزهم عن التمييز بين الصالح والطالح فكانت الكارثة. وعند ذلك يندم الأباء ولكن هل ينفع الندم عند فوات الأوان؟ كلا وألف كلا.

سدد الله خطا الجميع إلى الخير.

* * *

الأطفال وتفريط بعض الأمهات

إن كلمة أم: كلمة عظيمة ذات إبعاد كبيرة تعني المودة والحنان وتثمر العطف والرحمة ولذلك كانت لهذه الأم المكانة السامية وكان واجبها على ولدها كبيراً وأجرها عند الله عظيماً إن أحسنت تربية أبنائها وصبرت على ما تلاقيه في ذلك من آلام الحمل وأوجاع الرضاع وجهد المتابعة والتربية لذلك الوليد حتى يصبح شاباً يافعاً.

ولذلك فقد قدمت الأم في حق الإكرام على جميع الأقارب وأجاب المصطفى ﷺ من سأله عن أحق الناس بحسن الصحبة قال«أمُك ثلاثاً» وأعطيت حق حضانة ولدها مهما كان الأب عارفاً مجرباً ثرياً ذا رأي وبصيرة، لأن ما يوجد لدى الأم من الحنان والعطف على ولدها لن يوجد لدى أي شخص ولن يستطيع أن يعوضه أي شخص مهما كان وليس ذلك إلا للأم.

وعندما ننظر في واقع بعض النساء – هداهن الله للصواب – نجد منهن استخفافاً بهذا الأمر إذ تسلم ولدها راضية مختارة للخادمة لتتفرغ للزيارات والسهرات والحفلات واستقبال الصديقات، أما الابن فهو بخير وعافية وعنده الخادمة التي تطعمه إن جاع وتسقيه إن عطش وتضحكه وتلاعبه إن بكى أو ضجر!!

وإني أتساءل كيف ترضى الأم بأن يستبدل الابن حنانها بحنان الخادمة؟ أم كيف تحرم الابن من حنانها الذي أوجده الله فيها لهذا الولد وتكله إلى حنان الخادمة المصطنع؟ فهل الخادمة ستعطي الولد من العطف والحنان ما تعطيه أمه؟ كلا وألف

كلا. ثم هل تعرفين ما تفعل الخادمة معه في غيبتك؟ ألهذا الحد وثقت بها وسلمتيها فلذة كبدك؟ كيف ترضين أن أبنك يتعلق بها دونك؟ فلقد شاهدنا كثيراً من الأطفال يبكون بكاءً مراً عند رحيل الخادمة كما لو أن أمهم رحلت إلى المقبرة. كم كان بودي أن تكوني أكثر حرضاً على ولدك.

وأخيراً أذكرك أن لو كانت الحضانة تعني مجرد الأكل والشرب الذي وكلتيه إلى الخادمة لكان الأب أحق بها منك لكن الحضانة تعني معان سامية تحمل العطف الصادق وحنان القلب قبل اللسان فهل تعي الأمهات هذه المسئولية؟ أتمنى ذلك.

* * *

المعاكسات الهاتفية

إن من نعم الله التي يسرها لنا هذا الهاتف الذي يقرب البعيد ويتواصل به الأقارب والأرحام مهما بعدت المسافة بينهم. ويوفر الكثير من الجهد بالذهاب والإياب.

ولكن قد يسيء البعض استخدام هذه الآلة الفاعلة بإزعاج الآخرين عن طريق المعاكسات الهاتفية ونحو ذلك – نتيجة لجهله وحمقه وقلة إيمانه فيوقظ النائم من نومه ويزعج المريض في مرضه ويشغل الدارس عن دراسته، وربما سبب للأسرة عامة قلقاً واضطراباً بل ربما خلق عندهم جواً من الرهبة قد يحملهم على فصل هذا الهاتف والاستغناء عنه ولو لوقت من الأوقات بحثاً عن الراحة التي فقدت مع حركات ذلك الوضيع المتصابي.

ولهذا المعاكس الذي أقلق الناس باتصالاته البذيئة أقول:

هل فكرت ولو للحظة في حال هؤلاء الذين أزعجتهم باتصالاتك هل تصورت حجم الأرق والإرباك الذي تسببت فيه لهذه الأسرة؟

ماذا لو كان هذا الرجل الكبير الذي أفسدت عليه نومته وأيقظته من فراش نومه ماذا لو كان أباك هل ترضى أن يُفعل به كذلك؟

والمرأة التي أتعبها وليدها وأعياها عمل المنزل فخلدت للراحة سويعات فتأتي لتزعجها. ماذا لو كانت هي أمك أتقبل بذلك؟

والشابة التي صانت عرضها وغضت بصرها عما حرم الله عليها تأتي تطاردها وتحاول جذبها إليك بعبارات سامجة وأساليب رخيصة. كيف لو كانت تلك المهاتفة

أختك أترضى لها ذلك؟

فإن كان لديك ذرة من حياء أو بصيص من نخوة فلن تقبل بذلك أبـداً ناهيـك أن هذا أمر محرم شرعاً لما فيه من أذية الناس والتسلط عليهم فوق أن فاعله معـرض لدعاء الناس عليه وهو مستحق لذلك إذ هو ظالم.

واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

سائلاً المولى أن يهديك إلى الصواب.

* * *

فهرس الموضوعات